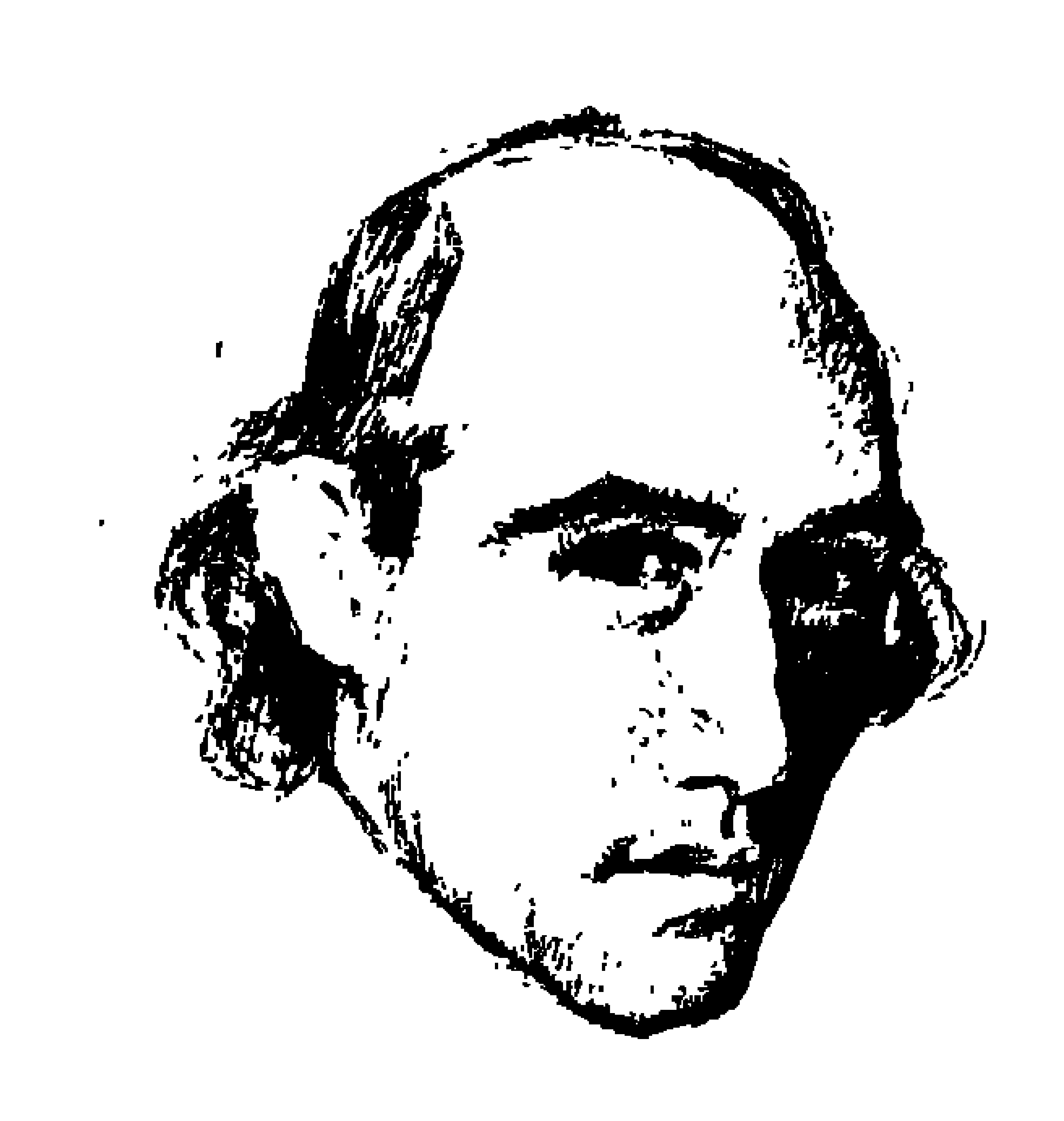
سلسلة أعلام الفكر العالمي



أندريه جيد

تأليف
ج. و. ايرلاند

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

ترجمة
مجاهد عبد المنعم

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

Gide

By

G. W. Ireland

وقد ظهرت الطبعة الأولى للكتاب عام ١٩٦٣

سلسلة أعلام الفكر العالمي

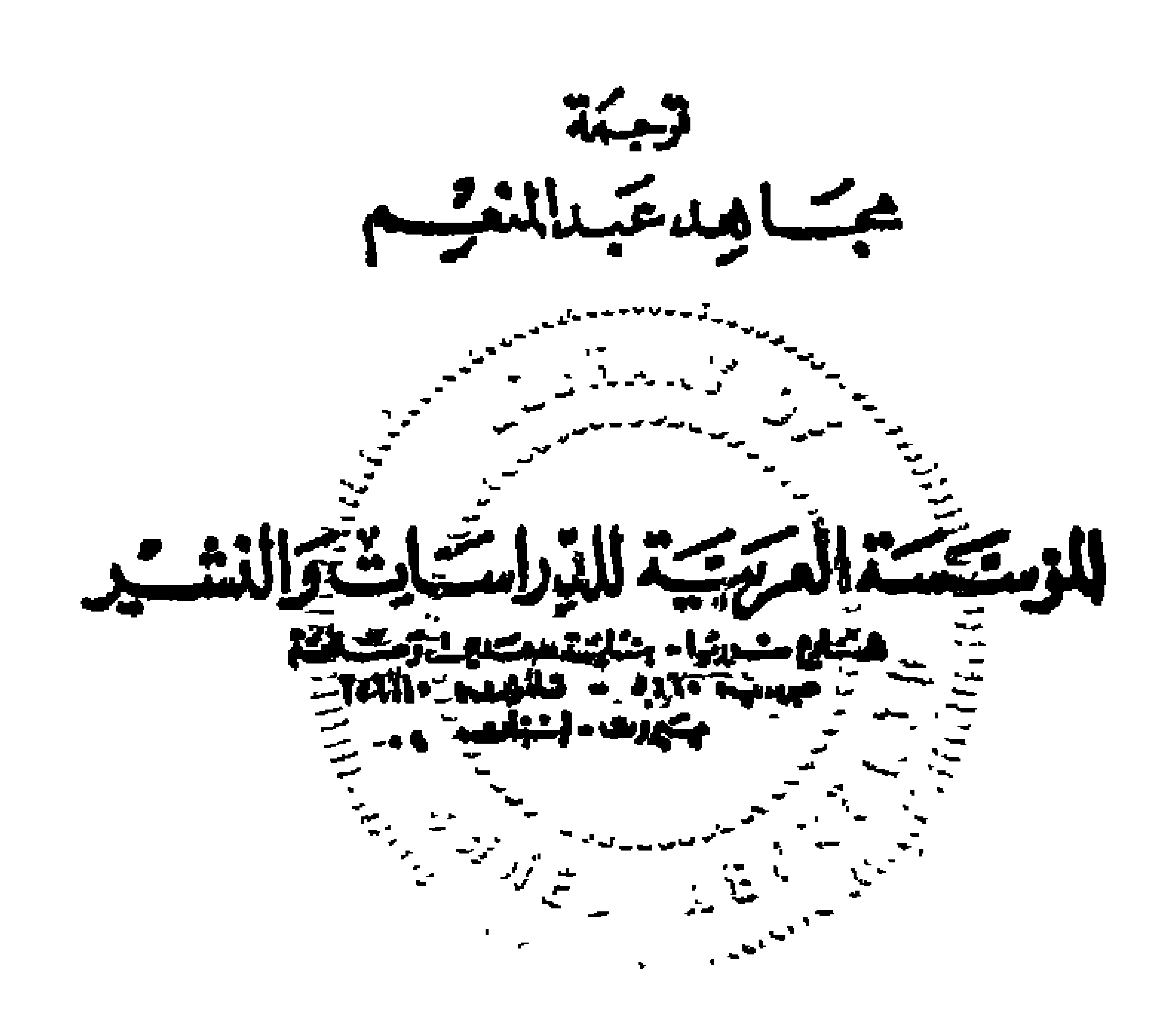


تأليف

ج. و. ايرلاند

ترجمة

مجاهد عبد المنعم



الطبعة الأولى

كانون أول / ديسمبر / ١٩٧٥

الفصل الأول

مدخل

ولد اندريه ـ بول جيلوم جيد في باريس يوم ٢٢نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٦٩ وكان ابوه بول جيد محاميا بارزا من « سيفين » وأمه جوليت روندو هي ابنة أسرة نورماندية ثرية تشتغل بالصناعة .

وكان كلا والديه من البروتستنت : غير ان بروتستنتانية اسرة والدته حديثة الاصل بشكل كبير حتى أن الاسرة كانت لا تزال تحتفظ ببعض الصلات بالكاثوليكية لدرجة أن جيد تمكن فيما بعد من أن يصف نفسه بأنه ولد من « ايمانين » كما ولد من جنسين ومن اقليمين وبين نجمين .

وكان جيد وهو صبي مغرم للغاية بأبيه الذي كان رقيقا لطيفا وودودا ولو بعد هذا قليلا عن معايير اليوم ، وقد بث في ابنه مبكرا حبه للادب الجميل وخاصة وهو يقرأ له الاعمال الشامخة بصوت مرتفع .

وعلى اية حال ، مات بول جيد عام ١٨٨٠ ولم يكن

ابنه قد تجاوز الحادية عشرة ، ولهذا تربى جيد على يدي امه وصديقتها « أنا شاكلتون » .

كانت « أنا » ، وهي من أصل اسكتلندي ، في البداية مربية جولييت روندو ، ثم اصبحت فيما بعد رفيقتها وصديقة عمرها الحميمة . وكانت تبدو كامرأة تدعو الى الاعجاب . ومن المؤكد أن جيد يتحدث عنها دائما باعجاب وحب . ويرجع الامر الى حد كبير الى تأثيرها . أن جيد نمى في نفسه وهو طفل محبة للعلوم الطبيعية التي ستلعب دورا كبيرا في تفكيره وفنه .

وكانت أمه امرأة تتميز بطابع معقول وفضيلة لا يرقى اليها الشك . غير انها كانت متزمتة وضيقة الافق حتى أن المرء ليعجب ما اذا كانت أضرت ابنها أكثر مما أفادته . فلم يكن مسموحا له بالمرة ـ مثلا ـ أن يحضر حفلا موسيقيا يعزف فيه روبنشتين موسيقى شوبان ، لان والدته كانت تعد موسيقى شوبان « غير صحيحة » . بل لقد اقتضى الامر تدخلا مليئا بالشفقة من ابنة عم أكبر سنا لكي يسمح للولد النامي بقدر من دخول مكتبة أبيه .

كان جيد يكن أعمق احترام لامه ، ولكن لم يكن هناك دفء وتلقائية في علاقتهما بسبب معاييرها الصارمةومزاجها المتشدد . وبالرغم من كل المحبة والاعجاب اللذين تتحلىبهما فانها كانت تبتعث أيضا شعورا بالاستياء لم يكن جيد

يخفيه دائما (١) .

وبعد تعليم أولي مشتت وغير منظم على يد مربين غير مؤهلين الى حد كبير ، التحق بمدرسة « الزاسيين » وهي مؤسسة بروتستنتانية مشهورة في باريس . ولكن سلسلة من الاضطرابات النفسية والعصبية التي يعد الاستمناء أكبر تجل واضح لها ، أدت الى استبعاده من المدرسة لفترات طويلة لاكثر من مرة بينما طافت به أمه وجه فرنسا بحثا عن « علاجات » مختلفة له .

وبالرغم من معارضة أم جيد الصارمة ، كان لديه عزم من ذي قبل لكي يصبح كاتبا ، ولم يكتف بيير لويس (الذي أصبح فيما بعد « لويز») الذي التقى به بمدرسة الزاسيين بتشجيعه في هذا الطموح ، بل وجد أيضا الوسيلة لتقديمه الى الحياة الادبية في باريس وبصفة خاصة الى مالارميه (٢) . وكان بيير لويس هو أيضا الشخص الذي قدم أول كتاب لجيد الى الجمهور (٣) ومن ثم قذف به على طريقه الادبي .

وعندما كان جيد في الخامسة والعشرين من عمره

---

(١) انظر « لو لم تمت البذرة » ص ٦٠٧ وما بعدها .

(٢) يعتمد « العرض » الحالي على بارنر . انظر ديلاي : « شباب اندريه جيد » باريس ١٩٥٨ ، المجلد الثاني ص ٣٧ .

(٣) انظر : أول الفصل التالي .

ماتت أمه وقد تركت له ثروة لا بأس بها . وقد انتهى ارتباطه الدائم بابنة عمه مادلين في أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٩٥ بعد خمسة أشهر من وفاة والدته بزواجهما . ولم يكن هناك شيء ملائم يفوق هذا بالرغم من أن مادلين نفسها قد قاومت فكرة الزواج عدة سنوات . ولكن حقائق الموقف كانت أي شيء سوى السعادة والفرح .

فقبل هذا بعامين خلال رحلة الى شمال أفريقيا ، اكتشف جيد في نفسه رغبات جنسية مثلية واستسلم لها. وابان الزواج أمل ــ دون شك ــ كما فهم ــ ان يحمل له الزواج نوعا من « العلاج » ، أو ربما قد يكون الزواج القابل للنمو والتطور ممكنا مع قدر كاف من الحب والفهم من الطرفين حتى مع عدم وجود مثل هذا العلاج . لكن الزواج الذي دام اربعين عاما برهن له يوما بعد يوم كم كان مخطئا. وبالرغم من كتاب جان شلومبرجر المتع (٤) لابد من كلمة عادلة عن تاريخ هذا الزواج . لم يكن هناك نقص في الحب ، ان الاعجاب والرقة متوافران من كلا الطرفين . غير أن الهوة بين الزوج وزوجته كانت أوسع من امكان اجتيازها . ولم تكن الجنسية المثلية عند جيد هي العامل الوحيد المدرج هنا ، بالرغم من أنه كان السبب الاكبر لهذه الهوة . وان قصة حياته حتى وفاة مادلين في أبريل (نيسان) ١٩٣٨ هي الى

---

(٤) جان شلومبرجر : «مادلين واندريه جيد » وجوههما المختلفة باريس ١٩٥٦ .

حد كبير قصة تفتح نادر لعبقرية خلفيتها مأساة خاصة حيث ان ولادة ابنة جيد كاترين لابنتها اليزابيث فان ريزلبرغ تبدو شاذة بشكل يدعو الى الحزن .

وتتشكل بقية الحياة من تجوال لا يهدأ عبر كل أوروبا وافريقيا وهو يعمل من اجل اللاجئين في الحرب العالمية الاولى ، وخلال وبعد الحرب الاهلية الاسبانية وانضمامه للشيوعيين لفترة وجيزة .

وفي عام ١٩٢٥ زار الكونغو حيث روعته القسوة التي تستغل بها الشركات صاحبة الامتيازات ، الوطنيين . وهو يندد في كتابه « رحلة الى الكونغو » بهذه المساوىء وافضى الامر الى ارسال بعثة لتقصي الحقائق أوجدت شيئا من الاصلاح .

وخلال فترة شهر العسل مع الشيوعيين ، تراس اجتماعات ، والقى خطبا في مؤتمرات ، ووقع بيانات ، وبعث بتحياته الى المؤتمر الاول للكتاب السوفييت وما الى ذلك . بل حتى لقد ذهب مع مالرو الى برلين ليحتج لدى جوبلز ضد اعتقال ديمتروف ورفاقه الذين برؤوا في محاكمة حريق الرايخستاغ . وقد قطع علاقته بالشيوعية بعد الرحلة الى الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٣٦ .

امضى جيد (الذي بلغ السبعين في عام ١٩٣٩) معظم الحرب العالمية الثانية في شمال افريقيا كمتفرج غير متحيزا

ان لم يكن كمتفرج لا يهتم . وبعد الحرب عاد الـى باريس حيث أمضى آخر سني عمره .

وفي عام ١٩٤٧ حصـــل على جائزة نوبل في الادب . ومات جيد في باريس يوم ١٩ فبراير (شباط) عام ١٩٥١ ودفن بعد ثلاثة أيام في كوفرفيل .

الفصل الثاني

أندريه والتر

في أوائل كتاب جيد الاول نجد وضعا نمطيا يدل على الرجل ، وهو محوري لكل أعماله ، حتى أنها تشد انتباهنا منذ البداية . ونجد عرضا غير مباشر لهذا الوضع حتى انه يعد شيئا مميزا . لقد نشر كتاب « مذكرات أندريه والتر » (١) على أن مؤلفه مجهول عام ١٨٩١ وقدم الكتاب على أنه مؤلف منشور بعد وفاة صاحبه وتتصدره مقدمة موقعة باسم « ب . ك » أي « بيير كريسيس» وهو مرادف لاسم بيير لويس (عرف فيما بعد باسم لويز) صديق جيد الحميم من أيام التلمذة . واذا لم تكن هذه المقدمة بقلم جيد فمن السلامة أن نفترض أنها مستلهمة بشكل مباشر منه وأنه قد وافق عليها . وفي هذه المقدمة يحكى « ب . ك . » كيف أن ذلك المؤلف « يتحدث أحيانا عن كتاب يعتزم تأليفه:

---

(١) بالنسبة لدلالة الاسم انظر كتاب جورج بينتر «اندريه جيد» ١٩٥٤ ص ٢٣ .

عمل غريب (علمي وعاطفي) هكذا قال » (٢) .

هـذا الوصف مليء بالمفارقة أو التناقض الظاهـري. فكلمة « علمي » تعني التنزه عن الغرض . بالطبع قد يكون المرء مكرسا للعلم غير أن هذا التكريس ليس علميا . والمفارقة واضحة بقدر ما هي مقصودة .

وعلى اية حال ، طالما انه لا شيء كامن في حل هـذا الانفراق أكثر من التوفيق بين حب التشريح أو البيولوجيا، وحب الموسيقى أو الشعر فان الامر لا يحتاج الى توتر كبير فكل صبا جيد شاهد على هذا . غـير أن مؤلف « مذكرات أندريه والتر » اليافع كان عليه أن يواجه هذا الانفـراق في داخل سياق أكثر اضطرابا : الهوة بين الروح والجسد .

في البداية يلوح جيد انه يكتب مثل أي مراهق آخر ـ اذا أغضينا الطرف لحظة عن صفة الكتابة ونوعهـا ـ ان الطريقة غير ناضجة ، والمادة مبتذلـة ، والخليط البسيط للافكار « العلمية » الغامضة لا تضيف سوى انطباع بـان الانسان على أرض اليفة .

« بالطبع ، عندما يحلم الانسان بما يفعله الشعر ...! كم تنتابه الرغبات ! والاعصاب التي تهتز في سحر الالوان تتسبب في قليل من التـدفق المتناثر في الوجود .. آه !!

---

(٢) لاحظ في « مذكرات اندريه والتر » الجزء الاول ص ١٧ مـن المقـدمة .

يا للنثر ! يا للنثر البذيء المنطوي خلف كل هذا ..» (٣)

ان اندريه والتر مثل الكثيرين من المراهقين يفكر في كتابة رواية ، وفي هذه الرواية التي ستسمى باسم «الآن» فان الهوة بين الروح والجسد تبدو لاول وهلة وقد تصورناها في اطار ساذج وغير أصيل ، كصراع بين النفس التي هي نبيلة تماما والجسم الذي هو منحط بتمامه . وعلى اية حال ، في الحقيقة لا يوجد أي نقص سواء بالنسبة للتركيب الفني أو الاصالة حتى في هذا العمل المبكر للغاية . هناك شيء واحد : المشكلة برمتها التي يواجهها المراهق من جراء الهوة التي نتحدث عنها ، يجري تصورها لا في اطار المعتقد أو السلوك ، بل في اطار الادب . حتى العلاقة بين المادية والمثالية لها أهمية أولية لانها تجعل الادب ممكنا . المشكلة في قلب « مذكرات أندريه والتر » هي مشكلة فنان : تأليف كتاب . ان المؤلف يقدم لنا لا على انه شخص يبحث عن مواصلة حياة يختلط فيها العلم والعاطفة ، بل على أنه شخص يسعى الى تأليف كتاب يتصالح فيه العلم والعاطفة .

والصور التي تترى بشكل تلقائي أمامه وهو يتصارع مع انفراق الجنسية لدى المراهق هي صور أدبية : « أي (نثر) مبتذل منطو خلف كل هذا » ، « الزهرة ، هي (الشعر) الرائع للنبات » ، وأول اسم يطرأ على باله وهو يتحدث عن الفعل المنعكس هو اسم « موسيه » .

---

(٣) مذكرات اندريه والتر ص ٤٤ ــ ٤٥ .

ولو كان كل انشغاله بالادب مجرد احياء للنزعة البارناسية أو عينة خاصة من الجمالية الواعية للعصر الزاهي لكان امرا قليل القيمة ، لكن الامر أبعد من هذا . ليس الامر فنا للفن : انه فن للحقيقة . ان على أسلوبه أن يتشكل لا وفق الاعتبارات الجمالية التي تقدم معاييرها بل وفق اهتمام بالحقيقة . الاسلوب ليس شيئا ذاتيا آليا : ان للفكر اشكاله ان الفنان سوف يستشعر (كشكل) حركة أفكاره ومشاعره، وايقاع جمله لن يشبعه الا وهو يشعر « بأنه متوج ، فيما عدا منحنى الافكار الموقعة ، عن طريق علاقة ثانوية » (٤). واللافت للنظر اكثر : الحقيقة التي يجب أن يخدمها الفن ليست هي الحقيقة الذاتية للعاطفة باعتبارها انكشافا خاصا للقلب له مزاياه بالتالي . ان مراهقنا لا يبحث عن انموذج في الشعراء أو الروائيين الرومانسيين : انه يبحث عنه في اسبينوزا !

لقد ادرج اسبينوزا حججه الاخلاقية بالشكل الدقيق الذي تتصف به النظريات الهندسية . ووالتر يشعر بأن مثل هذه الدقة والوضوح يجب أن يخصا الروائي بشكل اكبر مما يخصا الفيلسوف :

« ان الرواية نظرية » (٥) .

---

(٤) مذكرات اندريه والتر ص ٩٦ .

(٥) مذكرات اندريه والتر ص ٩٥ .

وبالطريقة عينها ، اذا كان أندريه والتر لا يندد بالمثالية، فانه لا يبتعث شخصا شاعريا غير « تين »حتى يساعده هذا على تحديد هذه المثالية ويتوصل الى نتيجة هي ان العمل من الاعمال المثالية هو ـ كما قال ـ « برهنة » (٦) .

ان أندريه والتر ، بخليط فعال من جيشان الشباب والنورانية الرياضية ، يصف روايته المفترضة. كل شيء يجب أن يرتد الى ما هو جوهري .يجب أن توجد شخصية واحدة، وكل الاحداث يجب ان تقع في ذهنه خارج الزمان والمكان . والقوى المتصارعة يجب أن تكون متناقضة أكثر منها متعادية : الروح والجسد . ان صراعهما الذي يجب أن يكون (مثاليا) ـ بالمعنى الدقيق الذي يحدده والتر للكلمة ـ يجب أن يستلهم ويحظى بصفته الدرامية من جراء عاطفة مهيمنة وموحدة واحدة : « العمل الفاضل » (٧). والوصف الذي يدلي به والتر عن « آلان » لا ينطبق انطباقا تماما على اي عمل كتبه أندريه جيد بعد هذا : ولكن بالرغم من هذا ، يفجر بقوة وجلاء مذهلين عددا من المبادىء الفنية الرئيسية التي لم يتخل عنها جيد بعد هذا اطلاقا .

ان فكرة وجود صرامة رياضية مثالية تتضمن اكبر غنائية تعطي وتوجه تدفقها ، ظلت مسالة مصاحبة لجيد

(٦) مذكرات أندريه والتر ص ٩٤ .

(٧) مذكرات أندريه والتر ص ٩٥ .

طوال حياته الابداعية ، وتقدم لنا أكبر خصيصة تميز أجمل اعمالــه .

ان كتاب « مذكرات أندريه والتر » كثــيرا ما أبخس حقه . لا يمكن مقارنته بالاستاذية الفنية مع اعمال كتبها جيد في سن النضج ، ولا يمكن انكار الهفوات العرضية في النغمة من الناحية الميلودرامية أو العاطفية المفرطة او حتى الجياشة بالعاطفة . ولكن الكتاب دون شك هو عمل من اعمال العبقرية . لا يكاد يوجد أي موضوع لدى جيد الناضج ليس موجودا من قبل في كتاب « مذكرات أندريه والتر » ، وتضمينات الثنائية المحورية بين الروح والجسد لا يجري تقديرها مسبقا علــى نحو ساذج بالمرة . من الحق انه في مذكرات اندريه والتــر الى « آلان » نجد أن المقدمات التي يقوم عليها هــذا العمل مدرجة بشكل ساذج . ولكن جيد ـ حتى في هذه المرحلة ـ ليس على الاطلاق ذا هدف مفرد على نحو مؤلف « آلان » . وان القاء نظرة على « مذكرات أندريه والتر » ستكون كافية لتبيان أن الموقف ليس جليا تماما كما يبدو في البداية لوالتر .

يمكن القول بشكل عام ان الكتاب يتخذ شكل يوميات شخصية حيث تحكي قصة حب دنيوي تسير في توازن مــع تاريخ روحي ، وفيها تقص علينا في الوقت نفسه رواية يعتزم مؤلف اليوميات أن يكتبها . والحدث الرئيسي كان قد بدأ من قبل عندما تبدأ المذكرات . وبعد وفاة أم أندريه والتــر وزواج حبيبة طفولته ايمانويل يقبع وحيدا . وفي هــذه

الوحدة يكتب ليخلص نفسه من ماض لا يزال يخيم عليه،
وهذا الماضي مليء بالحب الرومانسي الذي عاشه في طفولته
مع ايمانيويل . غير أن الحب الذي يستشعره ازاء ايمانيويل
مختلط ومشوش بحب الله ، حيث شجعته ودعمته ايمانيويل
المتدينة بعمق . والنتيجة انفعال لم يشعر مثله كاتب في
عصرنا بمثل هذا العمق الداخلي أو صوره على هذا النحو
الفائن :

« الحب الورع ، الحب لها تلك التي كثيرا ما تثق بكلا
الاثنين ، في كل مرة تدخلهما هما الاثنين في رباط دائم» (٨).

وفي الوقت نفسه فان استخدام مصطلح شبه رياضي
« رباط دائم » في مثل هذا السياق يفضح بصيرة واضحة
وراء فرط السرور الذي يوحي بشيء آخر اكثر من الوجه
الصادق . ان نغمة السحر الآسر قوية : ولكن ظل الاحتفاظ
بنوع من التناسب ، وجرى توضيح أن ما يبقى ويسود هو
الحب الدنيوي . ان ايمانيويل من جانبها لم يعمها الحب
وهي تصر على أن على اندريه أن يتعلم حب الله لذاته ، لا أن
يبحث عن حب الله فيها . وهو يعدها بشجاعة :

« سوف اتوقف عن مواصلة حبك ... نحن سوف
نتقدم بشكل (متواز) » (٩) (من المستحيل الا نلاحظ

(٨) مذكرات اندريه والتر ص ١٠٩ .

(٩) مذكرات اندريه والتر ص ٨٠ .

المصطلح الرياضي : فقد كتبه جيد داخل اقواس . فهل من الممكن الا نستشعر وعي المؤلف « بنظرية » وراء توقده ؟).

ولكن بعد زواج ايمانيويل ، وانعزاله داخل نفسه وحتى بعد ادراكه جوهر الامور الذي هو قسم :

« ... انني لا أعرف أي شخص ... (سوى الجسد » (١٠) . فانه داع بالفعل بأن الصراع بين الجسد والنفس لم يحل على الاطلاق . ان الوحدة ليست ملجأ :

« ان العدو في داخلنا : انه الرعب » (١١) .

اذن داخلنا يكمن عدو علينا أن نتغلب عليه . ولاول وهلة تبدو المسألة واضحة . لما كانت النفس نبيلة والجسد منحطا ، فان النفس يجب أن تتغلب على الجسد ،والا فان الجسد سيحط من شأن الروح ويستعبدها .

وعلى أية حال ، عند هذه النقطة يتسلل شك الى عقل والتر المحض :

« وعلى أية حال ، أحب ان أعرف ما اذا كان الجسد يستثير الروح ام ان الروح هي التي تستحثه ، ولكي يصارع في النهاية : أي الاثنين يجب ان يأخذ به أولا ؟»(١٢)

---

(١٠) مذكرات أندريه والتر ص ٩٠ .

(١١) مذكرات أندريه والتر ص ١٢٨ .

(١٢) مذكرات أندريه والتر ص ١١٠ .

هـذه العبارة حاسمة تماما . وعلى هـذا الاساس الفاصل يتخذ والتر وضعه بحذر . وهو يبدأ بشكل واقعي يتخلى عن الاساس الذي لم يعد متأكدا انه يمسك بـه .

ان هدف تجمع النفوس وهم ، وهو وهم خطر للغاية.

« ولكي تختلط نفسي بنفسك ، يجب ان أتخلى عن فكرة الحياة المقاومة ، الوعي بالنفس » (١٣) .

هذا التيقن يعـذب والتر . والشعور بالانفصال الذي يحسه كشيء مادي حتى عندما يشير الى انفصال للنفوس لا يكاد المرء أن يحتمله . ويبدو أنه يصعب أن يتقبل حتميته. ومع هذا فان هذا السعي نحو المثال الوهمي أمر عزيز ،وهو يتضمن شرطا لا يستطيع أن يتقبله مؤلف « مذكرات أندريه والتر » : النفس تصبح اذن سلبية .

وان كون هذا لا يستشعر به دوما على أنه غير مرغوب فيه واضح بقدر ما أنه ذو دلالـة . وفي الحقيقة نجـد أن الوضع العكسي ماثل بالقوة نفسها :

« أجل ! ولكن عندما تعرف ، تمتلك كثيرا من العقل من اجل المعرفة ...

« اننا نصبح مغمورين في السعادة اللانهائيـة دون كثير من تلك (المقاومة الاليمة للنفس) التي نستطيع أن نستشعرها

---

(١٣) مذكرات اندريه والتر ص٧٣ .

وحدها » (١٤) .

غير أن هذه الفقرة نفسها تواصل القول مباشرة :
« البديل : نيرفانا متلافة ، حيث تصبح (النفس) كلها مغرمة ومندفعة في الوجد وترعى الارادة الخاصةبالضمير لتلاشيها ، ويبدو الامر كما لو أمكن أن يصبح العدم مدركا بتلـذذ » . وبمجرد أن تبتعث رؤية استسلام النفس ـ باشتياق شديد ـ حتى يبدو أن من الخطر تجنبها بأي ثمن . وهذا لا يعني الحيلولة بينها وبين الحدوث . وكما كتب بودلير :

« بصدد تبخر النفس وتركزها .

يكمن كل شيء في هذا » (١٥) .

ان كلا الاتجاهين يواجه كل منهما الآخر طوال حياة جيد الروحية ويقدمان أطروحة من الاطروحات السائدة لحياته وعمله .

ولكن كان أمام أندريه والتر قرار عليه أن يتخذه ،وهو يتخذه بعون من شوبنهور . فقد قرأ عبارة من عبارات شوبنهور : « أن من يعرف الكل ولا يعرفه أحد هو

---

(١٤) مذكرات أندريه والتر ص ١٥٠ (الاقواس من مندي أنا المؤلف) .

(١٥) المؤلفات الكاملة ، المجلد الثاني ص ٦٤٢ .

(الموضوع) . انه لهذا أساس العالم » ومن ثم لم يستطع والتر ان يسيطر على حماسته . وفي الحقيقة يأتي هذا كعون ماثل في مأزقه لانه اذا لم يستطع ان يقنع بفقد نفسه في محبوبه فانه يوحي له بامكانية الاجراء العكسي : استيعاب المحبوب كلية داخله .

« اذا كففت عن حبي لك ، ستكفين عن الحياة ... »
طالما ان حبه غير المتجسد لامانويل يرضيه فان الحل يبدو بسيطا :

« يجب أن احبك دونما انقطاع » (١٦) .

غير ان هذا الحب قد أصبح الآن مسألة من مسائل الارادة . وسرعان ما أصبح واضحا أن الحب يجري التمسك به من أجل ممارسة الارادة أكثر من ممارسة الارادة من أجل التمسك بالحب .

« ان النفس فعالة ، وهي مرغوبة ، وهي تجد سعادتها ، لا في السعادة نفسها ، ولكن داخل الشعور بفعاليتها المريدة » (١٧) .

ان الوضع وضع بطولي ، حيث أنه محاط بمخاطر مرعبة :

---

(١٦) مذكرات اندريه والتر ص ١٦٦ .

(١٧) مذكرات أندريه والتر ص ٣٦ .

« لا يجب الخوف من الضعف والا سقطت كلية (١٨).

وقد يعتزم أندريه والتر أن يتقبل كل نتائج قـراره البطولي :

بفضل قوة الارادة لا يجب اطلاقا التوقف عن حب مثاله والحفاظ على وجود هذا المثال : غير أن هناك يدا أكثـر براعة هي التي تقود القلم الذي يكتب :

« اذا توصلت الى تأمل الوهم الذي به اثبت حتـى تستجلي عيناه السراب ولا تحل محله الوقائع الصلبة ، فان الوهم المخترع يبدو لي حقيقيا ، وما يلوح صورة مستحضرة سابقا ، تلوح لي حاضرة دوما بل انها تفوق الحقائق » (١٩).

فهل من المستحيل قراءة هذه الاسطر بدون الشعور بأن الوضع لم يعد قابلا أن يدافع عنه المرء ؟

ان ثمن العزلة العقلية غال للغاية . ويجن أندريه والتر ويموت . وجيد ـ مثل الثعبان ـ قد غير جلده الاول .

---

(١٨) مذكرات اندريه والتر ص ١٥١ .

(١٩) مذكرات أندريه والتر ص ١١٤ .

الفصل الثالث

المباهج الدنيويــة

تبع نشر « مذكرات أندريه والتر » عدد من الاعمــال ــ وان كانت اكثر خفة في المحتوى واقل عاطفية في نغمتها عن الاعمال السابقة ــ تظهر استاذية نامية سريعة في تنظيم وممارسة فن الكاتب . والكتابات شبه النظرية أو الرسائل ــ حسب التعبير الذي اطلقه جيد عليها ــ وهو تعبير ملائم على نحو غريب لهذه الاجزاء الخفيفة ــ هي « رسالة عــن نرجس » (١٨٩١ » محاولــة في العشق » (١٨٩٣) و « الحاج » (١٨٩٩) ــ انما تصاحب بالاحرى أو تمهــد للروائع أكثر من أن تكون هي نفسها روائع في حد ذاتها . وهي في جوهرها تعليقات على تطور المؤلف أكثر من أن تكون تجسيدا لهذا التطور : غير أن اشراقها لدى هــذا المؤلف الشاب أمر يدعو الى الدهشة .

تنقسم الآراء بشأن « أشعار أندريه والتر» (١٨٩٢). هي بالتأكيد ليست من الروائع بالرغم من أن أندريه جيــد ــ الذي عادة لا تنقصه القسوة في الحكم على اعماله ــ ربما

اظهرها على انها منسابـة في طبيعتها اكثر ممـا تستحق . والرواية الذاتية « الرمزية » « رحلة الى اوربا» (١٨٩٣) لا ينقصها ما يميزها : غير أن انشغال المؤلف بالتجربـة الشكلية انما يطعن غاياته الى حد كبير ، لانه يجعل الكتاب اكثر تفككا وضبابية عن حالة العقل الذي استلهمته .

ويتميز تحرر جيد ـ لا من الرمزية بل من الكهنوت الرمزي ـ بظهور رائعته الاولى التي لا يمكن الشك فيهـا الا وهي : « المستنقعات » (١٨٩٥) . ان هذا التهكم المرير من عقم عبادة الكلمات عندما تنفصل عن الحياة انما يحتوي في الوقت نفسـه على اعمق التعليقات على المسائل الجماليـة الموجودة في اعمال اخرى . ان المؤلف يعبر عن اشتياقه للتحرر من الوسط الادبي الذي يختنق فيه في اطـار رحلة يضع خطة لها بصفة دائمة . وهو في هذا العمل لا يحقق الا هربا ضئيلا يدعو الى الشفقة الى ضواحي باريس . في الحياة الحقيقية ارتحل جيد الى ابعـد من هـذا . ففي اكتوبـر (تشرين الاول) ١٨٩٣ قام جيد بصحبـة الرسام الشاب بول البيرت لورنز بأول رحلاتـه الى افريقيا . وفي خـلال الرحلة مرض جيد مرضا خطيرا حتى أن معظم فترات الرحلة ضاع في النقاهة . وفي هذه الفترة اكتشف جيد الطبيعـة الحقـة لجنسيته واستسلم لنوازعـه الشاذة جنسيا لاول مـرة .

ويجري الحديث عن « المباهج الدنيوية » ـ التـي

نشرت بعد عودة جيد من افريقيا ـ كما لو كانت نوعا من عرض لمذهب اللذة ودعوة للحسية المطلقة العنان . ويصعب ايجاد وصف أقل ملاءمة .

وفي تصدير جديد كتب بعد أن نشر الكتاب لاول مرة بثلاثين عاما احتج جيد نفسه على سوء الفهم هذا . فيكاد يكون من المستحيل أن مثل قصر النظر هذا غير مقصود . أن ما يراه في الكتاب من ناحيته ليس تمجيدا للمباهج الجنسية بل بالاحرى ترنيمة للزهد الذاتي « اعتذار عن (المسغبة) »(١)

هذه اللذات المستثارة في « المباهج الدنيوية » لا تختلف في طبيعتها فحسب عن الاتباع التقليدي لمذهب اللذة : ان لها أصلا مختلفا وغاية مختلفة .

هذه الغاية واردة بوضوح في الصفحة الثانية من الكتاب الاول :

« نحن نخشى أنه يجب علينا تماما أن نكتشف الله ، ونحن لا نعرفه للاسف ونحن ننتظر أن نجده ، وعلينا أن نواجه تضرعنا . ثم يقول الانسان انه في كل مكان ، لم نولده ، وهو متعذر وجوده ويتم الخضوع له صدفة » (٢).

وكما في « مذكرات أندريه والتر » لا يزال البحث هو

(١) مقدمة الى طبعة ١٩٢٧ الجزء الثاني ص ٢٢٩ .
(٢) المباهج الدنيوية ص ٦٣ .

بحثا عن الله . لكن بينما البحث عن الله في « مذكرات أندريه والتر » لا يتطلب فحسب مجهودا كبيرا ومستمرا من جانب الارادة بل يتطلب ايضا استبعادا متعمدا للوقائع اليومية ، وهنا يكون العكس صحيح . وفي الحقيقة يصعب أن نتحدث بدقة عن « بحث » ، فما من « بحث » ضروري حقا.

« لا تتمن يا ناتال ، تبين الله اينما تتوجه » (٣)

« أو حيث تذهب ، فانك لن تتبين الا الله » (٤)
ويكفي هذا لتتقبل المسألة ، لكن الله حاضر في كل مكان ، وروح التقبل الملائمة لا يجب ان يعتورها التردد :

« يا ناتال لا تتمسك في كل لحظة بأية رغبة ، ولكن تمسك بكل بساطة بمسألة ملاقاته ... ولا تفرق بين الله والسعادة ، بل ضع كل سعادتك في اللحظة أو الآن » (٥).

ونحن نملك الله في شكل السعادة ، فان تجربة مكثفة على نحو كاف من السعادة تشكل في الواقع حالة عبادة . وهذا هو السبب الذي يجعل المؤلف يعد تلميذه ناتانيال « بالتوهج » . ولا يهم ما يلهم حالة التوهج ولا أين يتركز . (كل) الاشياء يجب أن تعبد « دون تمايز » (٦) . وطبيعة

(٣) ص ٦١ .
(٤) ص ٦٣ .
(٥) ص ٧٣ .
(٦) ص ١٢٤ .

الدافع يمكن الا تكون سوى مسألة غير مهمة . ان كيف التجربة لا يتوقف على طبيعة الشيء بل على حالة الذات . ولما كان « الجوع خير متعة » فمن السهل ان نتبين بأي معنى تشكل « المباهج الدنيوية » « اعتذارا عن القساوة » :

« ان من يأكل لا يتمشى ، ومن لا يملك يظل جوعانا»(٧)

ان معظم اللذات المادية المثارة في « المباهج الدنيوية » هي في الواقع من اشدها بساطة : لكنها ترتبط بوفرة من الشهوة والنهم لتقديم أعظم توهج الا وهو العبادة والسعادة ومعرفة أو « امتلاك » الله .

ان الشيء نفسه لا يستطيع ان «يمتلك» الله ويتضح هذا منذ البداية :

« ان كل مخلوق دليل على الله ، وما من احد يستطيع ان يكشف عنه » (٨) وكما يقول جيد في « مباهج جديدة » بعد هذا بثلاثين عاما :

« ان الله لا يستقر في الشيء ولكنه يحبه ...»(٩)

ان الموضوع الحقيقي لكتاب « المباهج الدنيوية » ليس الصق بالارض من الموضوع الحقيقي في كتاب«مذكرات

---

(٧) ص ٨٣ .

(٨) ص ٦١ .

(٩) ص ٢٠٥ .

اندريه والتر » وان جوع مؤلفــه وعطشه ليسا من أجــل الثمار الارضية :

« بل من أجلك أنت ! انت أيتها الافكار اللامادية ! ولا تستطيع أن تسجن اشكال الحياة ومعرفــة الله تبتر كــل الحقائق » (١٠) وان كل قطرة من كل هذه الوفــرة المتدفقة لها قيمة مماثلة بالضبط تصدر بالمثل من الله . وأية قطــرة منها تفيد في الهام فيض المشاعر الذي تشتاق اليه النفس وتكشف لنا كلية الله وامتلاءه .

ان التجارب الروحية ـ شأنها في هذا شأن التجــارب المادية ـ تأتينا من الله . وهذه العبارة التي طرحت على هذا النحو تبدو أكثر من مجرد تعبير عن التقوى البسيطة . وفي الحقيقة ، على اية حال ، لا يضع جيــد المسالة على هــذا النحو البسيط . فهو يصر المرة تلو الاخرى على اضافــة صغيرة ولكنها حاسمة : ان (كل) التجارب الروحية مثــل (كل) التجارب الماديــة تأتينا من الله . وعلــى المستوى الروحي وكذلك على المستوى المادي ، نجد أن طبيعة الباعث الذي يولد مركب السعادة ـ العرفان ـ العبادة الذي هــو شكل معرفتنا « للتملك » أو الله (يجب) أن تكون مسألة غير هامة .. ان (كل) قطرة من هذا الينبوع الالهي العظيم له قيمة مماثلة ، وان تفضيل اي قطرة على الاخرى هــو تفرقة عنصرية موجهة ضد الاخرى بطريقة لا يمكن ان يبررها

---

(١٠) ص ١٢م .

اي شيء في التحليل الاخير . ولما كانت التجربة المرفوضة تتيح فرصة مماثلة لما تتيحه التجربة المختارة بالنسبة لفعل العبادة الذي به يصبح الله معروفا لنا فان كل رفض هو رفض لله .

وحتى نتجنب أن نكون آثمين من جراء هذا الرفض، يجب أن نظل غير ملتزمين (وهو ما يسميه جيد «متحررين») بأية تجربة حاصة مادية أو روحية . ومع هذا ، اذا كانت هناك ارادة كلية مصاحبة لتقبل ـ دون تفرقة ـ لكل الاشياء ـ كما يجب أن تكون بأية طريقة ـ اذن فان التوهج موضع النظر ستكون له طبيعة عكسية تماما لما يبحث عنه اندريه والتر للتمسك به بمجهود من جانب الارادة . وبينما والتر عازم على البحث عن السعادة « لا في السعادة ولكن في الشعور بنشاط النفس الارادي » فان مؤلف « المباهج الدنيوية » لا يرى مصدرا ممكنا وحيدا للسعادة الحقةسوى ما يمكن ان نسميه حالة من السلبية الشديدة ، وليس على الاطلاق على عكس حالة والتر الذي يرفض والتي يفقد الانسان فيها كل شعور « بمقاومة اليمة من جانب النفس». وقد وصف اندريه جيد في تصديره عام ۱۹۲۷ الروح السائدة في « المباهج الدنيوية » على انها الاستعداد « لان نجد في كبسولة النفس تحقق النفس على نحو اكثر اكتمالا واكثر اقتضاء ولا محدودية اكثر لاتاحة السعادة ». (۱۱) .

---

(۱۱) ص ۲۲۹ .

لقد هدى شوبنهور أندريه جيد نحو التركيز على النفس . غير أن مؤلف « المباهج الدنيوية » يقدم لناتانيال الحالة المضادة ــ حالة تبدو فيها النفس قصيدة بدون قيود، مدافعا عنها بدون حدود ، قائمة بدون تعريفات .

« انني مريض ولا أستطيع أن افكر في شيء ... ان الطبيعة تخترقني ، يساعدها في هذا اضطراب في اعصابي... انني لا اشعر بالمرة بجسدي محدودا ، انه احيانا يستمر في مكانه ، أو يصبح مفككا كالسكر على نحو يستثير اللذة ،وانا اقيم بنيانه » (١٢). ان قلبه « يسيل » و «يفيض» (١٣). وبين التجربة المادية والاستجابة الانفعالية لا يوجد خط فاصل : لا يوجد خط فاصل في اي مكان .

واستثناء اي تجربة على أساس أنها شريرة جرى مقاومته على أساس أن (أي) تجربة (يجب) أن تبث في الذات حالة اللطافة (السعادة ــ العرفان ــ العبادة) حيث يصبح الله معروفا . بمعنى ان الامر يتوقف على الذات.

ولكن لما كان الحد بين الذات والموضوع غير محدد فانه ليس من الضروري التمسك بهذا الجدل . لم يعد في احكام الذات أن تستبعد (أي) تجربة (مهما) تكن الاسس. وعندما يعلن أندريه والتر : « لايجب أن اتوقف عن حبك

---

(١٢) ص ١٠٢ .

(١٣) ص ١١٨ .

اطلاقا ... » و « التوهج يجب الا يضعف اطلاقا » فانـه يستجيب لارادته .

ولم يكتب المؤلف بالمعنى الحرفي لاتخاذ قرار حاسم الكلمات الشهيرة في « المباهج الدنيوية » . « انني آمل تماما ان أعرف كل الانفعالات وكل الرذائل ، على اية حال اريـد ان أعرف منها ما أفضلها ، ان كل وجودي موجه بتمامه نحو المعتقدات » (١٤) .

ولكن اذا لم يكن في استطاعة الذات أن تستبعد اية تجربة ، فانه بالمثل يبدو خارج قدرتها ان تضـم (كل) تجربة ، فالزمن في تفلته الدائم اللانهائي لا يستوعب دوما كل الامكانات غير المتحققة التي لا يمكن استعادتها اطلاقا. والخسارة لا تعوض على الاطلاق ، ونستشعر بعمق :

« انني حانق على فـرار الساعات . وان ضـرورة الاختيار لا يمكن تحملها على الاطـلاق ، الاختيار يظهـر مقدار انتقائي ، انني مستبعد بقدرة عدم اختياري . انني أفهم بفظاعة مقدار محدودية الساعات وان الزمن ليس له بعد ، هذا اتجاه حيث تكون تمنياتي كبيرة ، وان رغباتي تسير في اتجاه يغتصبها بالضرورة الواحدة تلو الاخرى»(١٥)

وليس الامر قاصرا على انـه لا توجد فسحة مبرع

---

(١٤) ص ٦٨ .

(١٥) ص ١١١ – ١١٢ .

الوقت كافية للتمشي مع وفرة الحياة . ان الخط ليس له الا خاصية واحدة : الاتجاه ، والاتجاه الذي يجري فيه الزمن هو دائما بعيد عن التوهج ، بعيد عن الله . ان الاصرار على تجربة ما يعني ابتعاث أسف مباشر على التجربة التي استبعدها الاختيار وكلما استطال الاصرار استطال هذا الاسف الى أن يقوض ويدمر اخيرا التوهج الذي به لا تكون للتجربة قيمة . والموضوع الذي يضرم النار في التوهج الذي به وحده يدرك الله يجري استشماره كحضور ثقيل يمتلك اكثر مما يمتلك ويعوق ظهور كشف او تجل لا يترك له موضعا .

« . . . ومع هذا انه يتأمل الله بأكبر قدر من الوضوح» وانني أتبين أن كل شيء في هذه الارض مما أتمنى يكون معتما، وأن العالم ينقصه ان يكون شفافا ، ينقصه الوضوح حيث يكف الله عن أن يكون له وجود معقول داخل نفسي » (١٦) .

ولا يستطيع الانسان أن يتتبع الله أسفل خط الزمن، فالخط يجب هدمه : وتدمير طابعه الحدي .

اذن يجب أن نترك ولدينا عدد لانهائي من (النقاط) . ولن يكون حتى تتابعا من النقاط ، لان النقطة ليست لها خاصية الاتجاه . ان النقطة الواحدة لا تستطيع ان تفضي الى نقطة أخرى ، وبين أية نقطتين يوجد حل جذري للاستمرارية .

---

(١٦) ص ٢٢٠ .

فاذا انزاحت خاصية الحدية عن الزمن فيجب الا يترك امامنا الا معادل مؤقت من لانهائية النقاط . والتجربة يجب الا تكون دائما سوى تجربة « وقتية » . نقطة اشعاع ضد خلفية مظلمة .

« ياناتانيال ، سوف اكلمك عن (الآنات) . ماذا تفهم من أن قوتها تمثل (حضورها) ؟... الا تفهم ان كل آن لا يأخذ روعته العجيبة الا بفضل غموض الموت ؟ » (١٧).

والوعي بهذه الخلفية الخاصة بالموت هو الذي يجعل الحياة ممكنة (١٨) .

ان جيد الذي يسترشد بهذه المبادىء يجد أن الحياة فيها نوع من الكثافة المتطايرة من الشظايا حيث لا يجمع الحياة في التو دائما في لحظة واحدة جديدة . ان ما يسميه الانسان الاجتناء هو اجبار مستحيل . انني لا أفهم كلمة (الوحدة) ، الوجود هو أنا ، انه ليس وجودا شخصيا ، انني ممتلىء بالناس » (١٩) .

ولكن هذه الطريق للحياة تولد نتيجتين هامتين : من جهة ، فلكي تكون لدينا لحظة جديدة دائما ، يجب أن (تتجدد) اللحظات بشكل دائم ، وخارج هذه اللحظات

---

(١٧) ص ٩٠

(١٨) ص ٩٠ .

(١٩) ص ٢٠٩ — ٢١٠

يوجد الموت . ولا يمكن أن ينقذ الانسان من الموت الا بتكثير لانهائي للحظات التوهج . يجب ان نقع فريسة حالة لا تسمى من الحذر « . . . حيثلا تنكشف نحو الحياة الا زفرة جديدة من الرغبات » (٢٠) .

ومن جهة اخرى ، لما كانت الحياة قد ارتدت الى هذه اللحظات ، وكانت هذه اللحظات متقطعة بشكل كبير ، فان الحياة تكون متقطعة بشكل كبير ضد خلفية من الموت تبدو فيها اللحظات على انها توقفات ، ولهذا تكون النفس متقطعة على نحو كبير ، وكل لحظة جديدة تعيشها نفس جديدة .

« وهكذا اتعود على (فصل) كل لحظة من حياتي من اجل مجموعة كلية من المرح والمعزولة ، من اجل التركيز على جزئية السعادة ، وهي نوعاتبينه اكثر مما أتذكره»(٢١) .

ان النفس وهي متحركة بذاتها داخل اللحظة لا تعود مقيدة بالنفس الماضية التي نسيتها ولا تعود مسئولة عن النفس المستقبلة التي لا تستطيع أن تتكهن بها .

ان مؤلف « المباهج الدنيوية » يظل أمينا مع مذهبه، وكتابه يشغل لحظة في حياة مذهبه . ولكنه يجب الا يكون

---

(٢٠) ص ٢١٥ .

(٢١) ص ٩١ .

مقيدا بأي شيء قد يعطى له ويجب الا يلزمه بشيء . وكلاهما يجب أن يكون حرا من علاقة الاستاذ بالمذهب :

« ياناتانيال ، في اللحظة الراهنة دع كتـــابي حرا . اتركني . اتركني ، الآن احلف عليك دعني » (٢٢) .

---

(٢٢) ص ٢٢٣

الفصل الرابع

اللا أخلاقي والباب الضيق

التكملة السليمة لكتاب « المباهج الدنيوية » لا نجده في « بروميثيوس مقيدا » ـ وهو كتاب سنعود اليه فيما بعد ـ ولا نجده في الاعمال الثانوية في التاريخ نفسه «فيكولتيت» او « الحاج » ، ولكن في الكتابين التوأم « اللا اخلاقي » (١٩٠٢) و « الباب الضيق » (١٩٠٩) وذلك لانه لو كان كتاب « المباهج الدنيوية » تعبيرا غنائيا سديدا عن مرحلة من تطور جيد فانه قد ترك لنا سؤالا هاما دون جواب.

ان كتاب «المباهج الدنيوية» هو فعل من افعال التحرر: انه للغاية تحرر النفس من النفس . لقد افضى تقويض التصور الاتجاهي للزمن ـ كما راينا ـ الى تقويض استمرارية النفس ومن ثم افضى الى اختفاء فكرة الهوية . ان النفس ذات حركة ذاتية داخل اللحظة أو الآن : لكنها لا تستطيع أن تبقى بعد اللحظة او الآن ، اي انها لا تستطيع ان تحتفظ في لحظة أخرى بالهوية التي منحتها اللحظة الاولى وعاشت فيها .

ومع هذا ، لو ان النفس قائمة في الآن وعن طريق الآن، اي اذا كانت ممتدة مع الآن فبأي معنى ومهما تشكلت تظل باقية أو تستطيع أن تظل باقية على الاطلاق ؟ « ان معرفة التحرير ليست شيئا ، والصعب أن تكون هذه المعرفة حرة » (١) .

ان كتاب « سول » — الذي يجري فيه اضفاء الطابع الدرامي على تحلل النفس — قد كتب من جراء اقتناع مريسر بأن « المباهج الدنيوية » لم تتغلب على هذه الصعوبة. واضح ان هناك احتياجا من نوع ما يحل على التصور الاتجاهي للزمن غير الفكرة البسيطة الخاصة بالآن المعزول . واذا أمكن اظهار الآن على انه يحتوي على قوة دينامية تؤكد اختفاء الآن وتستدعي الى الوجود آنا آخر ، يمكن للنفس أن تتعزز في أي شكل ضد مزاعم التجربة الآنية لتشربها للنفس واستنفادها اياها . وكما راينا لا توجد في الممارسة الا مثل هذه القوة . انه وعي مزدوج ماثل في الاستهلال الخاص لكل آن : وعي بخلفية الموت الذي يكتسب الآن هويته ضده ووعي بالامكانات المنافسة التي يستبعدها الآن .

هنا نجد لب عملية جدلية يتتبعه كتابا « اللا اخلاقي» و « الباب الضيق » بحركة تصوير بطيئة حتى نتبين على نحو أوضح في هذين الكتابين اكثر من أي عمل آخر لجيد طبيعة الجدل الذي يشكلها جميعا .

---

(١) الباب الضيق ص ١٥ .

في هذا الجدل نجد قضيتين متفارقتين ومتناقضتين تواجه كل منهما الاخرى حتى ان كلا منهما ليس لها معنى او قيمة بدون الاخرى . واذا اشرنا الى الاطروحة الكبرى لكل كتاب على أنها « القضية » المعروضة فيه سوف نتبين كيف اظهر جيد بجلاء عناصر عرضه .

انه يدرك بوضوح صعوبة تأكيد أن الكتابين يحققان بالتفصيل المتطلبات التي ذكرناها من ذي قبل ، وكل منهما يقابل بالضبط المفهوم الهيجلي عن « الآن الجدلي » . أن القضايا التي يحتويان عليها قضايا متزامنة . ونظرة على « اليوميات » يوضح هذا :

« الم اغرك بأن هذا الكتاب هو صنو لرواية(اللا اخلاقي) وأن كلا الموضوعين يتعاظمان بشكل تنافسي داخل نفسي ...؟ » (٢)

« ان (التزامن) هو ما كتبته » (٣) .

وان شهادة جيد تتكرر وهي ليس لها مثيل .

والقضايا موضع النظر لا يمكن ان تنفصل عن بعضها أيضا .

« ان الموضوعين يتعاظمان في آن معا داخل روحي وان

---

(٢) المذكرات ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٣) المذكرات ص ٤٣٧ .

تطرف احـدهما قائم في تطرف الآخـر وهذا يولد سرا ، والموضوعان الآن متوازنان » (٤) .

وبالتاكيـد :

« انني ما كان يمكنني ان اكتب (اللا اخلاقي) ما لم اكن قد كتبت (الباب الضيق) » (٥) .

واذا تركت لنا فسحة للتبسيط الذي يقتضيه الايجاز فان الفحص الادق للكتابين سوف يبين انهما متعارضيـن تعارضا شديدا .

الشخصية الرئيسية في كتاب « اللااخلاقي » هي مؤرخ شاب اسمه ميشيل . لقد رباه أب مولع بالدراسة في جـو دراسي انسحابي من العالم . وبالرغم من جهل يكاد يكون تاما بالحياة ، تزوج . وتبدا حكايته في اللحظة التي يشـرع فيها هو وعروسه الصغيرة في رحلة شهر العسل في شمـال افريقيـا .

ويقع ميشيل فريسة مرض خطير ويولد فيه منظور الموت لاول مرة وعيا بالحياة .

« لقد فكرت من قبل انني أفهم انني احيا .

---

(٤) المذكرات ص ٣٦٥ — ٣٦٦

(٥) المذكرات ص ٤٣٧ .

ويجب ان اعمل من اجل الحياة الممتلئة » (٦) .

إن الحياة ـ عند هذه المرحلة ـ تتحدد سلبيا ، مقابل الموت . والرغبة ـ اذا كانت هناك رغبة ـ يجري التعبير عنها بأحسن ما يكون على انها رغبة (في عدم الموت) ، والصحة لاول وهلة ليست اكثر من وسيلة لتقديم مقاومة فعالة ضد الموت . ان ما يجذبه فوق كل شيء للاطفال العرب الذين يتحلقون حوله هو وفرة الحياة التي يطالعها فيهم .

وزيارة واحد منهم تولد فيه التعجب :

« آه ! كم يبدو رائعا ! ان ما أتبينه هو : الصحة والسلامة . ان صحة هذا الجسم الصغير جميلة » (٧) .
وبمهارة مميزة ـ يكاد الانسان يقول « بمكر » شديد ـ يقدم المؤلف عنصرين جديدين في مفهوم الصحة : الحب والجمال . « الصحة » يجب أن « تحب » (وليس فقط تقابل الموت) لان « الصحة » جمال . وضبابية هذين المصطلحين متعمدة وسوف يجري استقلالهما تماما .

وفيما بعد يبصق ميشيل دما ويندهش ان يجد في نفسه ردود فعل من الخوف والغضب . وفي التسمية

---

(٦) اللاأخلاقي ص ٢٨ .
(٧) اللا اخلاقي ص ٣١ .

الغريبة للتفسير الذي يقدمه لنفسه هناك نغمة تكاد تكون نغمة الخطـر .

« واحسرتاه ! ان هذا هو ما بدأته ! لقد احببت الحياة » (٨) .

ان الباعث الاولي لتفضيل الصحة على المرض اصبح انكشاف جمال الصحة في شخص الولد العربي . ويتخذ هذا الانكشاف شكلا أكثر دقة عندما يحدث ان يقطع الصبي نفسه بسكين ، وفي التوتر الاكبر لرد الفعل عند ميشيل نجد أن الانتقال من موقف سلبي الى موقف ايجابي يتكامل بشكل مقنع . ان ميشيل ما عاد يسعى الى (الابتعاد عن) الفناء ، بل يسعى (الى) الوجود . ومرأى دم الصبي النقي الدافىء يملأ ميشيل برغبة يائسة في الحياة . انه يجز على أسنانه ويتوتر فيه كل عصب وهو يركز كل وجوده على « هذا الجهد نحو الوجود » (٨) اذن على حافة الموت يتولد انفعال جديد ـ انفعال بقوة دافقة هائلة ـ وميشيل يحاول أن يتوافق معها وهو يستوعب موقفه ويستخلص نتائجه .

« من أجل الزمن يصبح شفائي دراستي ، وواجبي هو سلامة صحتي ، يجب ان ارتئي على نحو طيب واسمي الاشياء بشكل (سليم) وكل من حياني واهملني واراحني

---

(٨) اللااخلاقي ص ٣٢ .

انما يعمل على عدم شفائي » (٩) .

وبهذه البراعة نفسها كما من قبل يقدم المؤلف في تاريخ الحالة عناصر تتجاوز تضمينات هذه الحالةالمباشرة. فلم يكن امام ميشيل أن يبحث عن وسيلة لاستعادة صحته الجسدية فحسب ، بل كان عليه أيضا أن يسمي هذه الوسيلة (الخير) (ما بين أقواس من وضع جيد) ولا يقتصر الأمر على أنه يجب عليه « أن ينسى » ما لا يتفق مع هذه الغاية ، بل عليه أيضا أن « ينبذه » .

وهو يتلاعبه على المعنى المزدوج لكلمة فضيلة ينقل هذه العملية الى مرحلة أبعد :

« لم أستطع النوم هذه الليلة ، نظرا لان ضغط فضائلي الجديدة قد استثارني » (١٠) .

وهناك التباس مشابه يحمل الراوي الى مرحلة تالية في العملية التي يصفها . يجري الشعور الآن ب « الحياة» على أنها تسير درجات وهذه الدرجات ـ كما جرىالاقتراح في التو ـ هي درجات (كيفية) :

ان ميشيل يتحدث ـ في اطار مادي ـ عن حساسيته المفرطة . وعندما كان مريضا كان يعاني بشكل كبير من تقلب

---

(٩) اللا أخلاقي ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(١٠) اللاأخلاقي ص ٣٥ .

الجو . ولم يكد يكف عن العرق حتى بدأ يرتعش .وكان يكفي سقوط قطرة ماء على قدمه حتى يرتعد من البـرد. وبعد تماثله للشفاء أصبح حساسا كما كان قبلاً بالنسبـة للحر أو البرد ، وكل هذه الحساسية لا تحمل اليه الآن الا الابتهاج . قد تكون الحساسية مصدرا للابتهاج بقدر ما هي مصدر للعذاب « وذلك يتوقف على ما اذا كان الجسم قويا او واهنا » (١١) . وان مصطلحي « قوي» و « واهن » بهما ، بطبيعة الحال ، شحنة انفعالية مميزة تمارس لصالح الاغراء الخلقي .

ومن الواضح أن هناك ايحاء بان الجهاز (يكسب) عن طريق القوة ، وما يكسبـه هو مقـدرة على استيعاب البواعث القوية وتحويلها لصالح الجهاز . والمقـابل الواضح يمكن أن يتقرر بقولنا انه كلما كان الجهاز أقوى أصبحت شهيته « أكثر صحة » .

وسرعان ما يبدو له « بشير » ـ أول محمي ميشيل من العرب ـ « غير ملائم » . وخليفته مكتير ـ في الاتجاه الذي يسير فيه الآن ميشيل ـ يشكل في الحقيقة«تقدما» على سابقه . وهذا هو مغزى القصة المتحققة بجمال في الكتاب .

وذات صباح ، عندما كانت زوجته مارسلين غائبة ،

---

(١١) اللااخلاقي ص ٣٧ .

يراقب ميشيل مكتير الذي كان يعتقد انه غير مراقب (أو هكذا يعتقد ميشيل في ذلك الوقت) فاستولى على مقص يخص مارسلين . ولم يفعل ميشيل الذي كان يراقب حركات مكتير في مرآة شيئا لتفتيشه ، بل بالعكس يجد نفسه وقد استحال الى حالة غريبة من الجمود حيث لا يلعب الشعور بالاستنكار أي دور .

« لقد خفق قلبي بشدة للحظة ، ومع هذا فان أكثر تعقلاتي الحكيمة لم تتمكن من أن تبث في الشعور بالتمرد . حسنا ! انني لم اتمكن من أن ابرهن على أن الشعور الذي ثبته حينئذ قد حمل شيئا ... من الفرح » (١٢) ويتيح ميشيل لمكتير عديدا من الفرص لاخفاء المقص في روب الحمام الخاص به . وعندما تفتقد مارسلين صدفة المقص تخترع قصة او اخرى تبرر اختفاءه .

هذه الحادثة حاسمة . الارتفاع في شدة الحساسية، والاثارة التي يعيشها ميشيل والذي هو الآن « مستعد » أن يراها بكل بساطة كزيادة في الحياة ولهذا كشيء يجري الترحيب به انما يستمد قوته في لا أخلاقيتها . ولهذا فان الاخلاقيات تبدو كقوة تقييدية بها تفتقر الحياة وتتلاشى دوما .

ان ميشيل وهو يتأمل الآن في فقر مشاعره قبل مرضه

---

(١٢) اللاأخلاقي ص ٤٩ .

يراها وقد كبتت وأصبحت في الخلفية :

« انها تحيا ! انها لا تكف عن الحياةِ ، انها تكتشف حياة مستترة وماكرة » (١٣) .

وتبدو « سنوات الدراسة » هنا كقوة تقييدية . لقد قهرت الحياة وكبتت في العالم السري ، وهذه الحياة هي التي تهم ميشيل الآن . هذه هي الحياة الوحيدة التي تهم حقا ، لانها هي الحياة « الاصيلة » .

ان الحياة لصالح أخلاقيات تقليدية قد جرى تجاهلها الى حد كبير أو جرى اخفاؤها أو حجبها ، وعندما اصبح ميشيل واعيا بها سيطرت عليه جدتها . ان الشخصية التقليدية التي ربطه بها المجتمع هي قوقعة خالية ، وليس هذا هو ما يبحث عنه . ان ما يبحث عنه ميشيل هو « آدم القديم » الذي رفضته الاناجيل والذي يسعى كل عنصر « محترم » في المجتمع الذي يعيش فيه أن يكبته .

ان « هذا الوجود الثانوي المعروف » (١٤) الذي أثقلت به تربيته نفسه البدائية لا يصبح الا عقبة في طريقه ، ويعتزم ميشيل ان يخلعه . وعلى أية حال ، يجد جيد أنه من الضروري تعزيز هذا الوضع القائم على المغامرة . وهو يفعل

---

(١٣) اللاأخلاقي ص ٤٣ .

(١٤) اللا أخلاقي ص ٥٥ .

هذا بالاشارة الى مناقشة سابقة ، مناقشة حول النمو والمقدرة .

« ... لقد حصل هنا على الشفاء ، لقد حصل على النماء ، حصل على تجدد الحياة ، حصل على تدفق الدم بشكل أكثر غنى وأكثر حرارة مما مس أفكاري، مسها واحدة اثر الاخرى ونفذ فيها جميعا فأهاجها ولونها ، لون اكثر خيوط وجودي تباعدا وأكثر خيوط وجودي دقة واكثر خيوط وجودي امتلاء بالاسرار » (١٥) .

ان نزعة ميشيل اللا اخلاقية هي تمرد فعال ضد اخلاقيات قائمة على « فكرة السماح والدفاع وسط ما هو متعسف » (١٦) : لكنها ابعد ما تكون عن رفض احكام القيمة . بل بالعكس ، انها مكرسة منذ البداية لاكتشاف واتباع القيم « الاصيلة » . وعلى اية حال ، فان سير الاحداث منذ البداية مما يمكن التنبؤ به بما يتمشى مع النظرية السابق تطورها . ان القوة الجديدة ستقتضي جهودا جديدة ، والمقدرة الزائدة ستحتاج الى اشباعات لم يشعر الجهاز الاضعف بحاجة اليها وهذا يعني في الحقيقة انه لم يستطع ان يتمثلها .

ويجري الايخاء بجلاء ببعض من طبيعة المستقبل الذي

---

(١٥) اللا أخلاقي ص ٥٦ .

(١٦) ذكريات ص ٣٦٨ .

يتكهن به عندما يتفكر ميشيل في كيف يؤثر سلوكه في مارسلين . لقد حلق لحيته وسمح لشعره أن يطول » وتستلفته جدة مظهره الجديد باعتبارها انذارا بالامكان على الاقل من وجهة نظر مارسلين . غير ان الحب ـ كما يعتقد ـ يعمي مارسلين عن التغير الذي يحدث فيه . وهو في كل حدث يعيد تأكيد نفسه لها قدر امكانه ، وهذا التمثل يكلفه جهدا لاول مرة : ولكن مع نمو قواه فان الشعور بالجهد يتناقص الى ان يكف عن تقديم صدمة تأثيرية لتقدمه الطائش .

ولما وجهت اليه الدعوة ليحاضر في « الكوليج دي فرانس » فانه يعود الى دراساته التاريخية . لكن الحضارات القديمة التي سبق له ان اعجب بها تجذبه على نحو أقل من القوى البدائية التي أضعفتها هذه الحضارات أو اخفتها . ومن ثم يجد أن من الصعب أن يعزز اهتمامه بالماضي :

« انني لا أجد مذاقا فيما مضى ، ومذاق اللحظة لا يزيد عن يوم ، غير أن المستقبل يطيح بسحر الحاضر بقدر ما أن الحاضر لا يطيح بسحر الماضي ، ومن ثم كانت ليلتنا في (سورنت) . . . ان حبي ، حياتي ، انما تنقذف نحو المستقبل » (١٧) .

ومن الواضح من قبل أنه لا يستطيع ان يواجه مستقبلا

(١٧) اللا اخلاقي ص ١١١ .

لا يجري التعبير عنه في اطار النمو . وكما يقول لمينالك :

« انني هكذا مهيئا لان اقطع سعادتي .. ، ومع هذا فانني أنمو ... » (١٨) .

وان ما كان نادرا ثم وافرا قد اصبح في الواقع شديد الوفرة . والحياة عند ميشيل تكاد تكون الآن طافحة ـ بالمعنى الحرفي ـ على حدود شخصيته . ولم يعد يكفي ان يعيش تجاربه ، عليه أن (يستشعر) الآخرين وأن يقاسمهم حياتهم .

(والمشاركة العاطفية) لدى ميشيل لها طابعان ، فمن شدة الوفرة التي عنده تتدفق الحياة . وهو ـ على سبيل المثال ـ يجلس بجانب زوجته المتوعكة :

« كم من ليلة سهرت لاجلها ! اظل مثبتا نظري عليها... وانا آمل بقوة الحب أن أبث قليلا من حياتي في حياتها » (١٩).

والعملية العكسية تظهر بشكل لا يقل قوة . فميشيل في صدمته يفكر في المشاركة الوجدانية التي تربطه على نحو اكثر بعمال المزرعة الذين يعيش وسطهم .

« انني أشعر بين ذراعي بقوة التحريك ، ... أشعر

---

(١٨) اللا أخلاقي ص ١١٣ .

(١٩) اللا أخلاقي ص ١١٧ .

بانزلاق في حلقي ... انني أشعر بقوة الدفع ...» (٢٠).

انه في سعيه النهم بحثا عن التجربة « الاصيلة » انما يسعى دوما للنفاذ من خلال القشرة الخارجية للمظاهر التقليدية الى الثروات الرائعة التي تخفيها المظاهر . ومن المحتم ان تظهر هذه الثروات كثيرا بشكل معقد ، فان دافع المجتمع هو أن يخفيها . ولكن هل رفض المجتمع لاي شيء معقد يجري دون تحد ؟

ان كل العناصر التي تتركب منها الاخلاقيات الاجتماعية التقليدية معادية للحياة ، ولا يمكن للنمو الحقيقي أن يتم الا في مواجهة هذه القوى ، والحقيقة الصادقة لا يمكن اكتشافها الا في تنحية هذه القوى جانبا . وتمرد ميشيل ضدها يجري تصوره على أنه رسالة ، واعلانه عن الايمان لا تنقصه العظمة :

« وكم من اجابة قديمة تشبع تساؤلي الجديد : ماذا يمكن أن يكون عليه الانسان ثانية ؟ هذا هو ما حمل الي المعرفة » .

والمجتمع ، باسم آداب السلوك ، يسدل نقابا على الحقيقة التي تهم طبيعة الانسان ومدى الامكانات التي يمكن أن تحققها انسانية غير مقيدة ، والانسانية خلف هذا النقاب تختنق ، وتختنق أيضا الثروات الامكانية التي

---

(٢٠) اللا أخلاقي ص [illegible]

لا تصدق . وتمزيق هذا النقاب يقتضي فعلا من اعمال التحدي على غرار بروميثيوس ، وميشيل يقبل التحدي :

« لقد بدا لي حينئذ أنني اولد من أجل نوع مجهول من الاستكشاف ، ولقد انفعلت انفعالا غريبا في بحثي الذي اجد أنني اجحد فيه الحضارة وآداب اللياقة والاخلاقيات» (٢١) .

وهو بتجنبه لهذه الامور انما يتجنب مارسلين بطبيعة الحال .

والسعادة الهادئة التي حملتها اليه زوجته مارسلين لم تعد تتفق مع معياره : لقد نما . ان الامر « كما لو كانت هناك هجمة لا يتبدى فيها التعب » (٢٢) واخفاق مارسلين هو رمز بارز على فشل وحدتهما . فميشيل يجد نفسه بالرغم منه يعتبرها شيئا أشبه بالاشمئزاز . ان توحيده بين الصحة والفضيلة قد افضى به الى رد فعل متماسك، انه مستثار بمعاناة زوجته الى حد انه يلومها على هذا ، الى ان يراها في النهاية « موصومة » بالمرض (٢٣) ويبتعد .

وعلى أية حال مهما يكن الامر منطقيا ومحتما ، فان رفض مارسلين له نتائج على طبيعتهما أو على ثقلهما . فمن

---

(٢١) اللا أخلاقي ص ١٤٨ .

(٢٢) اللا أخلاقي ص ١٤٣ .

(٢٣) اللا أخلاقي ص ١٥٧ وما بين القوسين من عندي (أي المؤلف).

الخق أن ميشيل لا يزال يجد متعــة في مجتمع التفاهــة والمطروحات على أرصفة الميناء . وهو لا يزال يرى في تطور ثرواتها الشديدة أجمل وعد بالمستقبل . زيادة على ذلك لما كان غير صبور على استطعام الحياة بقدر الامكان فانه يجر مارسلين الى رحــلات لا تنتهي عبــر سطح الارض الى أن يقتلها التعب .

ولكن عندما يستعيد ــ بعد موتها ــ ركامات الاشيــاء على أرصفة الموانىء التي هجر زوجته من أجلها ، فــلا يعود يتم هذا بحماسة منقسمة . ان التداعي الذي لديه الآن هو « بقية الانسانية » . وربط الشعور القوي أولا بالصحة ثم بالفضيلة لم يعد مقبولا : « ان وحشـية الانفعال تنفذ(ثانية) في عيوني (جانبا خبيثا) من الصحة والانتظام » (٢٤) .

ومن النتائج المتطرفة لمنطق ميشيل يتوصل الى أن : « هناك شيئا ما في ارادتي يتهشم ... » (٢٥). وفي نهايــة القصة يرقد بكل بســاطة في قمرة في شمال أفريقيا .

وهكذا نرتد الى حيث بدأنا :

« لقد أنقذت ، هذا ممكن ، ولكن ماذا جنيت ؟ » (٢٦)

---

(٢٤) اللا أخلاقي ص ١٧٠ .

(٢٥) اللا اخلاقي ص ١٦٩ .

(٢٦) الباب الضيق ص ٨٨ ــ ٨٩ .

ان « القضية » التي عرضت في « اللاأخلاقي» ببساطة قدر الامكان هي أن اقتفاء الحياة هو عملية نمو حيث تتدعم مضاعفة التجارب الاصيلة والثروات . وان أشد التجارب « المعاشة » أصالة هي تلك التجارب المرتبطة بالفساد الخلقي وهذه نتيجة طبيعية لان معايير الخير والشر قد حلت محلها معايير القوة والضعف ، وهكذا أصبح الطريق ممهدا لانفراق أو تناقض ظاهري لن تتضح محتوياته تماما الا بعد أن نتناول رواية « الباب الضيق » .

من الناحية الظاهرية ، رواية « الباب الضيق » هي قصة حب : هناك ابناء عم هما جيروم واليسا يشبان معا في جو آمن تقوي بين جماعة بروتستنتانية هادئة من الطبقة الوسطى . وعندما كانا لا يزالان طفلين وقعا في الحب ، ويبدو أنه لا توجد سحابة تخيم في الافق ومن المؤكد انه لا توجد عقبة في ارتباطهما .

وعلى أية حال ، يقوم جيروم ذات يوم بزيارة مفاجئة لمنزل اليسا ، ويحاول خادم مضطرب أن يحول بينه وبين الولوج ، غير أن جيروم لا يعيره انتباها . وأثناء صعوده على الدرج الى غرفة اليسا في أعلى المنزل كان على جيروم أن يمر أمام باب مفتوح لغرفة جلوس لوسيل بوسولين ، وبالصدفة يشاهد عملية مضاجعة مراهقة بين أم اليسا وضابط صغير . ودون أن يلاحظاه يسارع بأكبر ما في طاقته الى غرفة اليسا . انه يطرق الباب ، ولما لم يتلق ردا فانه يدخل وكانت اليسا

راكعة في الظـلام وظهرها الى النـافذة . ودون أن تنهض تتحدث وتسأله لماذا رجع ؟ فينحني جيروم ليقبلها .

« هذه اللحظة قد حددت حياتي ، انني لم أعد اليوم أحيا دون قلق . من غير شك انني لا أفهم تماما سبب تعاسة اليسا ، ولكنني أشعر تماما أن هذه التعاسة قوية للغايـة بالنسبة لهذه النفس الصغـيرة المضطربة ، بالنسـبة لهـذا الجسم الهش الذي لا يتحمل الشهيق . لقد جلست أمامها وقد استلقت وهي جاثية ، ولم أعرف شيئا يمكن أن يعبـر عما هو جديد في قلبي ، ومع هذا ضغطت رأسها على قلبي وعلى جبينها ضغطت شفتي . يا لنشوة الحب ، والشفقة، فتضرعت الى الله من كل قلبي انني لن آلو جهدا في ألا أدع هذه الطفلة لغائلة الخوف وغائلة الشر وغائلة الحياة » (٢٦) .

وبصرف النظر عن غنائية هذا النص ، فانه يقوم على قدر كبير من الحساب المتعمد الشفاف ، ومهما كانت الواقعة مثيرة للدهشة لاول وهلة ، فليس من قبيل المصادفة أن هذه القوة تقـدم مقابلا دقيقا لحادثة سرقـة مكيتر للمقص في « اللاأخلاقي » .

فاذا نحينا في اللحظة الراهنة عنصر الغنائيـة ، فماذا نجد ؟ ان زنا لوسيل بوسلين مثل سرقـة مكيتر هو فعـل لا اخلاقي يتم بطريقة سرية . انه بالضبط فعل من تلـك

---

(٢٦) الباب الضيق ص ٨٨ ــ ٨٩ .

الافعال التي تكبتها الاخلاق الصارمة في الاعماق والتي تشكل في عين ميشيل برهانا على القوة . (لم يكن جيد يتحمل ان يحمل لوسيل بوسلين بدفء حاسية وذاتية وروح للتحرر ـ انها تنفث سيجارة عشيقها ـ مما لا يملك ميشيل الا أن يوافق عليه) .

ان ميشيل وهو يراقب سلوك مكتير يشعر بابتهاج . أما اليسا وهي ترقب سلوك أمها فتشعر بالاشمئزاز . والآن لو كان ميشيل قد شاهد أي سلوك مثل هذا من جانب مكتير في أي وقت قبل شفائه لكان رد فعله دون شك مماثلا في جوهره لرد فعل اليسا في نفس الظروف . وطالما انه « مريض » ، كانت تكفي أن تسقط قطرة ماء على قدمه حتى يشعر بالبرد . والآن انه يحل أو قد أحل محل الشعور الواهن شعورا قويا وتتلون استجابته بالتالي . واذا استطاع أن يجد توهجا وفرحا وتشجيعا في هذه الحادثة فان الامر يرجع الى انه قوي بما فيه الكفاية لوضع هذا موضع النظر . ولكن ماذا بشأن اليسا ؟ ان مصيبتها « شديدة للغاية » بالنسبة « لهذه النفس الصغيرة الواهنة ، وهذا الجسد الهش » .

ان التكافؤ الذي يرسم على نحو مطول في « اللااخلاقي» بين الحياة والشر يبدو هنا مرة أخرى . ولكن بينما الكيان القوي سيبحث عن الحياة أينما يجدها فان «هذه الطفلة» يجب حمايتها « من الشر ، (من) الحياة» .

اننا نجد كلمة « الفضيلة » في كلا الكتابين ، ولكن بينما ترتبط في « اللاأخلاقي » بالقوة والنمو على حساب الاخلاقيات ، فانها ترتبط هنا « على نحو غير متميز » بـ « الحماسة » و « نكران الذات » .

وهناك نقطة أخرى يجب أن نذكرها : عن طريق القبلة تلتزم نفس جيروم بأليسا ، أن مصيره تحدده لحظة أو آن واحد .

هنا تبرز « اللحظة الجدلية » على خلفية من العدم وهذا يقابل تيقظ ميشيل للحياة على شفا الموت (من المهم ان نتذكر أن كلا الدافعين « عند جيد » متزامنان) .

وكما رأينا فان تطور ميشيل هو اضطراد مستمر تتحدد فيه المراحل بشكل حبي : الرغبة في عدم الموت ، الجهد نحو الوجود ، الحب الظاهر للحياة ، نحو القوة والرغبة أو الشهية ، المطالبة بمزيد من الحياة الاصيلة ، محاصرة حياة الآخرين ، اسقاط المطالب المتزايدة دوما في مستقبل لانهائي ... حتى نصل الى كل الارادة .

وتصف رواية « الباب الضيق » اضطرادا مماثلا لكنه معكوس ، ويصعب تتبع هذا نوعا ما لان بناء رواية «الباب الضيق » أكثر تعقدا من رواية « اللاأخلاقي» : ولكن لن يشق علينا أن نتتبع خطوطها العريضة . لقد انصهر مصير جيروم بمصير اليسا حتى أنه يكفينا في أهدافنا الحالية أن

نركز على اليسا بالرغم من أن هذا يشكل افراطا في تبسيط الكتاب ككل .

ان نقطة الانطلاق في الاضطراد هي محبة الاطفال ، وجيروم يصف طابع هذه المحبة الرومانسي ويوضح أنها تقوم على أسس روحية لا على أسس دنيوية ، حتى أنه يشعر أنه من الضروري أن يبرر استخدام كلمة « الحب» لوصف هذا الطابع للمحبة :

« هذه الطفلة التي قبلتها ثانية ، هل اتحدث اليها عن الحب واسمي هكذا الشعور الذي أكنه لابنة عمي ؟ » (٢٧) .

وخير برهان على الحب هو اكتساب الاهلية داخل النفس وبث الاهلية في المحبوب ، والاهلية في جو التقوى البروتستانتية التي يشب فيها الاطفال لا يجب تمييزها عن الطهر . وفي لحظة من لحظات الذروة في الحكاية تذكر اليس جيروم بهذا (٢٨) . وموقف جيروم في مواجهة الله واليسا هو نفس موقف أندريه والتر في مواجهة الله وامانويل ، واليسا مثل امانويل تتبين أخطاره :

« ــ الست تبذل جهدا من أجل أن تسيرَ وحدك ؟

هكذا على كل واحد منا أن يبحث عن الله .

---

(٢٧) الباب الضيق ص ٩٥ .

(٢٨) الباب الضيق ص ١٨٥ .

ـ ولكن عليك أنت أن تشير لي الى الطريق .

ـ ولماذا لا تجد مرشدا آخر للمسيح » (٢٩) .

من جهة بسبب حدوث مثل هذه التغيرات ومن جهة بسبب الاستماع الى موعظة حول نص اعطي للكتاب عنوانه، تبدأ أليس ترى حب جيروم لها على أنه يعرض خلاصه للخطر حيث أن حبه لها على الارض يشكل عقبة في وجه ادراكه والتقاطه لطبيعة الحب الالهي . وكانت قد بدأت في التفكير في شكل ما في التضحية من أجله عندما تقع حادثة تساعدها على تبيان مجرى سلوكها . لقد علمت أن أختها جولييت قد وقعت في حب جيروم بالرغم من أنه يجهل هذا . وعندما تضحي جولييت دون ما أنانية بنفسها عن طريق « زواج المنفعة » تقرر أليسا حتى تحول دون هذا (٣٠) أن تضحي بآمالها في السعادة الدنيوية لصالح خلاص جيروم .

ولا يجب أن يقع هذا بدون بذل أقصى جهد ، وهو بالنسبة لجيروم الفضيلة وبالنسبة لاليسا الحياة نفسها . وعبادة الحياة على الارض تلك العبادة العظيمة التي تصل في كتاب « المباهج الدنيوية » الى مرتبة حب ومعرفة الله هي

---

(٢٩) الباب الضيق ص ٩٩ .

(٣٠) هذه هي (الذريعة) التي يقدمها الروائي اما الاسباب المسرحية التي تقدمها أليسا فتجدها ص ٢٢٤ .

شيء (طبيعي) عند أليسا (٣١) .

« هذه الليلة ، من كل قلبي قد فكرت : شكرا يا الهي ان جعلت الليلة جميلة! وفجأة تمنيتك وشعرت بك ، قريبا مني ، وبعنف يجب أن تشعر بي » (٣٢) .

وأليسا لا تستطيع ان تكون حية بشكل كامل بدون جيروم ، وهي تعرف هذا :

« انني لا أكون أنا حقا بل وأكثر من انني أنا الا معك ... » (٣٣)

لهذا فان عملية نكران الذات التي تعتزم أن تقوم بها ليست مؤلمة فحسب : انها تدريجية وبدون ارتداد . ونكران الذات عند جيروم لا يشكل بالنسبة لاليسا الا نكرانا للحياة نفسها . ان وجودها نفسه يتوقف عليه انه (هو) حياتها . ولكن طالما انه حب (بشري) هو الذي يهيمن على علاقتهما فان تضحية اليسا لا تكتمل .

وتشرع اليسا في تضحيتها بروح التوهج أو الافتتان الشديد وهي تكتب كل نزعة لتقبل اية قيمة تكون مجرد قيمة انسانية ، وهي تكتب كل نزعة لتقبل أي فرح يكون

---

(٣١) ص ١٦٠ .

(٣٢) الباب الضيق ص ١٥٧ .

(٣٣) الباب الضيق ص ١٦٥ .

فرحا من هذا العالم . ان كل ما هو جميل ويجري في اطار دنيوي ـ سواء كان اطار الجسم او العقل ـ يجري تشويهه عمدا وبشكل فج . وهي ترتدي ملابسها بشكل خليع وتختار تسريحة غير لائقة وهي تسيء استخدام يديها وتهمل البيانو الخاص بها . وهي تعيد التسجيلات الموسيقية التي ارسلها اليها جيروم من ايطاليا . وهي تحل محل مكتبة الروائع الصغيرة التي ساعدها جيروم على جمعها كتيبات سوقية لا قيمة لها عن التقوى العامة ، وأسوأ ما في الموضوع انها تبحث عن الهبوط بأفكارها وافعالها وحديثها الى مستوى هذه الاعمال السوقية وأن تتظاهر على الاقل أنها قد نجحت.

ويناشدها جيروم المروع مناشدة أخيرة :

« أليسا !.. لماذا تركت جناحك ؟ »

ولكن لا عودة بالنسبة لاليسا تماما كما كان الامر بالنسبة لميشيل :

« لقد غمغمت : آه لا أسف على ما مضى . في اللحظة الراهنة انني أطوي صفحة من حياتي .

ـ ان امامك الزمن يا أليسا .

ـ كلا يا صديقي ليس امامي زمن . انه لم يعد هناك زمن للحب ، ولقد تداخلنا الواحد في الآخر من أجل الحب .... والله يقول يجب الا نحتفظ بما لفد به والله يحتفظ بهذه الاشياء للافضل .

ـ هل تؤمن بمثل هذه الاقوال دائما ؟

ـ يجب أن نؤمن بهذا تماما ...

ـ تخيل هذا يا جيروم : للافضل !... انني أكرر هذا القول ثانية وأنت تفرد ذراعيك وتغمض عينيك « للافضل ! » (٣٦)

والنهاية محتمة ـ وقريبة : الفرار وحيدة الى المستشفى الصغير في باريس حيث العزلة والموت .

وهذا الفرار وهذا الموت لا يشكلان انتصارا ، وتقدم المذكرات التي تتركها اليسا وراءها برهانا ساطعا على أن السكينة التي سعت اليها دون توقف قد انكرت عليها . والحدث الاخير يقدم المقابل المأساوي لصيحة ميشيل : «لقد تحطم شيء في ارادتي » .وذات صباح تجعلها نوبة قيء في حالة شبه تحطم وشبه أمل في الموت عندما تنتابها نوبة كرب :

« ان هناك رعشة في الكرسي وفي النفس ، ان الامر كما لو كان هناك (ايضاح) عنيف وخيبة أمل لحياتي» (٣٧) انها مهجورة شأنها في هذا شأن ميشيل ، والايمان الذي حملها بعيدا لم يعد يحملها أبعد . لقد انتهى الباعث .

---

(٣٦) الباب الضيق ص ٢٠٧ .

(٣٧) الباب الضيق ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

« انني أريد أن أموت في هذه اللحظة بسرعة قبل أن اثبين من جديد أنني في وحدة » (٣٨) .

وواضح انه في حالة أليسا كما في حالة ميشيل توجد نقطة انهيار . ولكن كما يمكننا القول بأنه حتى هذه اللحظة كانت القوة الدافعة وراء ميشيل هي دافع نحو الحياة ، يمكننا القول بأن القوة الدافعة وراء أليسا هو دافع هرب من الحياة (نحو « شيء أفضل ») . غير أن الدافع نحو الحياة يدفعه الى اختيار الشر ، ودافع أليسا نحو نكران الذات يدفعها الى اختيار الموت .

فلو كانت مهمة هذين الكاتبين حقا هي أن يقدما اختيارا خلقيا ففي اي اطار يمكن طرح هذا الاختيار ؟ لقد اختار اللاأخلاقية ، غير أنه اختار الحياة ، واختارت أليسا الفضيلة لكنها اختارت الموت ، وكلاهما فشلا . وعلى أية حال ، فان امكانية الاختيار بين وجهتي النظر مستبعدة منذ البداية ، فالقضايا المطروحة بالرغم من تعارضها تعارضا شديدا متزامنة ولا تنقسم .

فهل نحن مواجهون اذن (بمأزق) ؟ هل يجب أن تنضاف هزيمة أليسا الكبرى الى انهيار ميشيل وبهذا تكون لدينا محصلة من الفشل ؟ كلا . فالطبيعة الجدلية للمواجهة بينهما وحالة الحوار الذي فيه وحده يكون لهما معنى انما

---

(٣٨) الباب الضيق ص ٢٣٨ .

يمنـــع الاختيار البسيط عن طريق الاستبعاد . وبالنسبــة لاولئك الذين يريدون أن يقوموا بمثل هذا الاختيار يعد هذا مأزقا اليما . ولكن هذا بالضبط ـ بالعكس ـ هو ما يحاول أن يتجنبه جيد ، ولهذا فان التناول المنعكس في« اللاأخلاقي » و « الباب الضيق » ليس لهذا مما يجب نبذه على أســاس أنه لا يفضي الا الى (مأزق) .

فاذا استطعنا أن نفهم لمــاذا يبــدو هذا التنــاول ـ بالعكس ـ بالنسبة لجيد ـ محتما فاننا لن نرى فحسب كيف تتجاوز النفس حدود الآن ، بل سنكون أيضا في وضع مفضل لفهم طبيعة الالهام عند جيد ككل واسس فنه جميعا .

لقد طرح هو نفسه المشكلة :

« انني أبدا لن أتخلى عنك ، ودفاعا عن نفسي للمــرة الالف بل وللاسوأ أشعر بخواء ومــع هذا كيف يمكنني أن أشرح هــذه المساكنة في نفسي بين الاضداد المتطرفة ممــا أفضى الى مضاعفة مرضية وزاد من حدة الشعور بالوجود والحياة » (٣٩) .

وفي هذه الصيغة نجد أن السؤال يجيب على نفسه . وتصبح « هذه الحالة من الحوار » (٤٠) ضرورية بالنسبــة لجيد لانها أوجدت له بشكل لم يحدث من اي شيء آخــر

(٣٩) صفحات لم تنشر ص ٢٧ .

(٤٠) المرجع المذكور .

« تكشيف الشعور ـ في اطار الوجدان ـ بالوجود ، بالحياة» الذي هو الهدف الاقصى لكل بحثه . وهذا هو ما يصفه في « المباهج الدنيوية » على أنه حب الله ومعرفته ، وبهذا المعنى يكون الله هدف كل مسعى .

وبعد خمسين عاما كان جيد لا يزال يتحدث في الاطر هذه نفسها . ان سؤال ايكاروس البلاغي في «تيسيوس» :

« الى اين تتجه ان لم تتجه الى الله ؟ » (٤١) .

انما يتردد على مسافة نصف قرن في تعريف مينالك:

« الله .... هو هذا الذي أمامنا » (٤٢) .

ولكن ـ كما رأينا ـ لا يوجد درب مباشر الى الله من خلال أي من مخلوقاته (هو) .

وتوضح رواية « المباهج الدنيوية » أنه اذا « كان كل مخلوق يشير الى الله فانه ما من احدا يكشف عنه » .

ويشير ديدالوسن الى النقطة نفسها :

« أنا لا أعرف من أين بدأ الله ، ومرة أخرى لا أعرف أين ينتهي . وبالمثل انني أنعصر وسط أفكاري اذا قلت انه لا ينتهي أبدا منذ البداية » (٤٣) .

---

(٤١) تيسيوس ص ٦٣ (وقد ترجمها طه حسين ـ المترجم) .

(٤٢) المباهج الدنيوية ص ٦٣ .

(٤٣) تيسيوس ص ٦٤ .

ودون أي مقاومـــة يتذكر الانسان التعريف المدرسي الشهير لله وبمقتضاه يكون (الله) دائرة مركزها في كـل مكان ومحيطها ليس في أي مكان لان الوضع عند جيد علـى عكس هذا تماما : الله دائرة محيطها في كل مكان ومركـزها ليس في أي مكان ، ونحن نواجه الله في كل التفاتة . وكل تجربة انما تحملنا وتدخلنا في محيط الله ، غير اننا لا نستطيع أن نشق طريقنا في الداخل من المحيط . (٤٤)

وتظل هناك امكانية يمكن التعبير عنها بصورة يبدو أن جيد في نقاط كثيرة من عمله يحاول أن يجلوها . فاذا كانت هناك نقطتان متعارضتان تماما على محيط دائرة واتصـلا عن طريق خط مشدود ، فان (الخط سوف يمر بالمركز) . ويعبر ديدالوس عن الفكرة نفسها عندما يقول :

« هناك بالضبط حيث مفترق الطـرق حيث القلب نفسه على هذا الصليب تعتزم روحي أن توجد » (٤٥).

لقد راينا أن القضايا في الجدل عند جيد متعارضـة تعارضا تاما . ونحن نعرف أنه لا يمكن الفصل بينها . ولقد رأينا أيضا أن أي انفعال (مستبعد) يتضمن ـ بالتعريف ـ رفضا لله ويشكل ـ بقدر ما هو مستبعد ـ حركة تبعـد عن الله . وهـذا هو السبب الذي يـدعو الى استعـادة

---

(٤٤) أنظر الفصل الثاني .

(٤٥) تيسيوس ص ٦٣ .

التوازن (٤٦) فتولد دافعا في الاتجاه المتعارض تماما . اذن فان هذه الدوافع تتولد في اتجاهات متعارضة تماما بعيدا عن المركز والوتر المرسوم . هذا التوتر هو نتاج فوري للتوهج ، وهذه الحقيقة تسير في اتجاه تفسير الطبيعة ودور الغنائية في الكتابين وفي الحقيقة خلال عمل جيد كله .

في قلب الرواية ـ كما يقصد جيد ـ توجد نظرية مقررة بجلاء : « الرواية هي نظرية » (٤٧) : لكنها نظرية لا يمكن اعلانها الا في لغة الفن الذي لا تتميز عنه . وهذا الزواج بين التصميم الواضح والوفرة الغنائية هو جوهر فن جيد . ولكن بينما يبدو أن في ذهن أندريه والتر غنائية تلقائية ساذجة ، فانه لا توجد غنائية ضبابية مثل الغنائية الموجودة في « اللاأخلاقي » و « الباب الضيق » .

ان هذه الغنائية مرسومة لكي تغري ان لم يكن لتغوي ، وهذه هي المقصودة لكي تحدث تأثيرا تمارسه على الاصدقاء الذين يحكي لهم ميشيل قصته :

« لا تعرف أين يكمن النقد ، في الشر المفصل الذي يعطيه ، ونحن لهذا نكون شركاء فيه . ونصبح كما لو كنا منخرطين » (٤٨) .

---

(٤٦) في خطاب كتبه كلوديل الى جيد وصفه بانه «عقل بدون تحامل» وما من ثناء أرضى جيد خير من هذا الثناء .

(٤٧) مذكرات أندريه والتر ص ٤٥ .

(٤٨) اللا اخلاقي ص ١٦٩ .

غير أن جيد نفسه ليس بأي حال من الاحوال ضحية فصاحته ، فالدافع الذي يلهم ميشيل في رسالته قوي في خالقه ، لكنه لا يعميه كما يعمي ميشيل .

ولقد شرح جيد المسألة لناقد كتب مقالة عن رواية « اللاأخلاقي » : هناك بطبيعة الحال جرثومة من ميشيل في خالقه .

« ولكن يوجد عدد من الانفعالات المتعارضة كما يقول باسكال تكون الآن في حالة تواز لان الانسان لا يستطيع ان يقرر احداها دون الاخرى ... ولكن الانسان بالارادة يستطيع أن يلغيها جميعا من (أجل احداها) ... لكي يمجدها ! » (٤٩)

هذا الشرح صادق أيضا بالنسبة لرواية « الباب الضيق » مرة أخرى لا يمكن انكار القوة في جيد بالنسبة لدافع نحو انكار الذات ، على الاقل نحو « شيء افضل »من الحياة . غير أن مؤلف « المباهج الدنيوية » و «المستنقعات» و « بروميثيوس مقيدا » و « الملك كندول » و «اللاأخلاقي » غير قانع بحدود قوى اليسا في شعورها وفهمها .

ان الكاتب الاستاذ البالغ من العمر اربعين عاما يضيق صبره :

« أن (الباب الضيق) تثير الشخص من صفحتين

---

(٤٩) خطاب الى شافر ص ٦١٦ .

الى ثلاثة ». (٥٠) .

ان بطولة اليسا « لا فائدة منها بشكل مطلق ». (٥١)، وفي مسودة لتصدير للكتاب كان عبارة عن مشروع فان الايحاء بان رواية « الباب الضيق » تشكل عودة الى روح كتاب « مذكرات أندريه والتر » مسألة مستهجنة باعتبارها اساءة فهم تامة ، بينما علاقتها الجدلية برواية «اللاأخلاقي» يجري الاصرار عليها بأوضح تعبير . (٥٢)

لهذا يوجد اختباران بالنسبة للدافع الاضلي فيأي من الكتابين . فلا يمكن النظر الى الدافع فحسب مع ضده ، بل يجري اختباره بالنسبة لتقويضه . عند نقطة معينة لا يعود البطل في أعمال جيد ـ أندريه والتر ، ميشيل ، اليسا ـ يستمتع بثقة المؤلف . ان المستمعين لميشيل ـ وقراء جيد ـ يتولاهم العجب : عند أية نقطة ؟ ان آرماند في كتاب « مزيفو النقود » يواجه صعوبة مماثلة . يقول: لو كان كاتبا لكان بحث في كل الاشياء عن النقطة الحرجة التي تفصل الوجود عن العدم . وهو يأتي بمثال عن حالة ستة من المسافرين نجوا بعد غرق السفينة . وعندما تم التقاطهم مات ثلاثة وأمكن انقاذ اثنين ، أما السادس فكان في حالة انهيار . وكان لا يزال هناك أمل : « ان كيانه

(٥٠) خطاب الى أ . أ . د . ص ٦١٦ .

(٥١) مذكرات بلا تاريخ ص ٤٠ .

(٥٢) انظر ص ٣٥٩ وما بعدها .

يستطيع ان يتحمل النقطة الحدية » (٥٣) . ويوقف آرماند عند حده الطرف الآخر الذي يجري معه الحوار قائلا انه يفهم . بعد ساعة يستطيعون انقاذه ، فيحتج آرماند ويدلي بالنقطة الاساسية التي عنده :

« ساعة كما ترى ! انني أعد اللحظة المتطرفة » الانسان يقدر عليها ثانية . قد لا يستطيع الانسان أن يقدرعليها ... هذا الخط الفاصل بين الوجود والعدم .... انني أطبقه على كل شيء يعرضه أمامي . انني أعتبره حد المقاومة ... هل تفهم الآن ؟ » (٥٤) .

« الوتر ينقطع » . فيما وراء النقطة الاخيرة التي يمكن التمسك عندها بالتوهج ، عندما يدرك ميشيل أن شيئا في ارادته قد انهار أو عندما تعيش أليسا ساعة صدقها فان التوتر الذي يبرز الكثافة او الشدة ــ في اطار الشعور ــ الخاصة بالاحساس بالوجود ، الاحساس بالحياة الذي يفيض من الاتصال بالله وهذا ما يضيع ويفقد .

ولكن اذا كان الامر هكذا ، فبأي طريقة يحل الجدل عند جيد مشكلة الحفاظ على النفس وراء حدود الآن ، حيث أن هذه المواجهة هي نفسها يجب اعتبارها على أنها آنية وقتية ؟

---

(٥٣) مزيفو النقود ص ٤٠٩ .

(٥٤) مزيفو النقود ٤١٠ .

ان صورتنا تزودنا بجواب : لما كان محيط الله في كل مكان ، ولما كانت لا توجد نهاية لبداية الله ، ولما كان كل مخلوق يشير الى الله ، فان (أي) تجربة تكفي لاطلاق حركة العملية الجدلية . ان أية عاطفة تستدعي التناقض الذي هو كمالتها ، والالتزام المتزامن بكلا العاطفتين سيمد الوتر خلال مركز الدائرة . ولا يهم من أين يمتد الخط من المحيط : « فالمركز يظل متوحدا ومتطابقا مع نفسه وهو يتجدد دوما في هذه الشدة أو الكثافة ... الخاصة بالاحساس .... بالحياة » التي بدونها لا يمكن أن تنهض حقا ولكنها فيها تتحد مع الله .

الفصل الخامس

كهوف الفاتيكان

في الوقت الذي كان جيد يكتب « اللا أخلاقي » و « الباب الضيق » كان يخطط لنوع من « البحث » يعتقد ميشيل انه مكرس له . ومع هذا ، فبالرغم من أن الفضيحة كان من الصعب تجنبها ، فان أصدقاء قد اغروه أن يساير الظروف .

حسب راي لويس مارتن ـ شوفييه ، ترجع كتابة « ايزابيل » (١٩١١) وهي قصة رومانسية مختلقة قامت على أساس حقيقة وأسطورة محليتين ، ترجع كتابتها بشكل مباشر الى تأثير قراءة جيد على مجموعة صغيرة من أصدقائه الحميمين الجزء الاول من « كوريدون » ، فحتى يحولوه عن عزمه في كتابة ونشر مثل هذا العمل اقترحوا عليه أن يؤلف كتابا له طابع مختلف تماما : وجيد لا يمكن أن يكتب بشكل سيء ، لكنه بالتالي اعتبر « ايزابيل » « غلطة » ومعظم المعجبين به راغبون في الاتفاق حول هذا الحكم .

ومثال صارخ على نوع البحث الذي كان في ذهن جيد

عندما كتب « ايزابيل » نجـده في « ذكريات عن محكمـة البلاط »(١٩١٤) وهذا الكتاب سرد واقعي لتجاربه كرجل قانون مع تأملات في القضايا التي اشترك فيها . لكن العلامة البارزة التالية في تقدم جيد كفنان نجدها في نشره عام ١٩١٤ لكتابه « كهوف الفاتيكان » . والدافع المباشر وراء كتـابة هذا الكتاب هو نفاد الصبر الذي كان يشعر به جيد بشكل متزايد بالنسبة لنغمة وطابع رواية « الباب الضيق» .

« انني حينئذ أملك قدرا كافيا من النغمات الاصيلـة والتدرجات المرهفة !... ان كـل قاموس الحب لا يكفي للتعبير عن خمس سنوات !» (١) .

لقد بدأ يحن الى طابع أكثر رشاقـة وخفة وانطـلاقا ونغمة مفككة أكثر ، يحن الى أناقة تكون طبيعية تماما « ... كما لو كانت سلامة طوية ثانية » (٢) .

ان التقابل بين النزعـة الطبيعية وسلامة الطويـة أو الاخلاص في المجال الفني له بطبيعة الحال تضمينات وايحاءات خارج عالم الجمال . ان الاعمال التي نؤديها لانها متوقعـة منا أو لاننا نتوقعها من أنفسنا أو لانها تبدو النتائج المحتمة لماضينا أو الاستطالة المترتبة لحاضرنا ، هذه الاعمال في رأي جيد ليست أعمالا « طبيعيـة » ، فهي استجابات لضغوط

(١) خطاب الى ا. د. ص ٤١٩ .

(٢) كهوف الفاتيكان ص ٢٠١ .

تفرض بالقوة من خارج النفس ، وهي أعمال غير مخلصة لانه لما كانت مستثارة فهي تبدو محتمة بينما لو كانت معتمدة على النفس فقط فانها ما كانت تحتاج الى أن توجد على الاطلاق وقد يحل محلها عدد لانهائي من البدائل التي لايمكن التنبؤ بها .

ان اعمالنا وافعالنا تميل الى أن تنتجها الظروف لا النفس ، وهي الظروف التي توجد فيها النفس والتي تشعر بها انها (مقيدة) . والفعل المخلص الحق ينبع مباشرة من النفس وهو متحرر من مثل هذه الاعتبارات التي تحد وتوجه والتي قد تحرفها أو تشوهها . وان فكرة مثل هذا الفعل فكرة مغرية : « هل تفهم ما في هذه الكلمات : تجاوز الآخر ؟ » (٣)

ان جيد يسعى في اطار الهزل الساخر لا الفارس الهزلي الى أن يعرض في « كهوف الفاتيكان » نوع العمل الذي كان في ذهنه والذي أطلق عليه بنوع من الاندفاع تعبير « الفعل المجاني »

لقد سبق أن جذب الموضوع انتباهه في « بروميثيوس مقيدا » ، الا أن كتاب « كهوف الفاتيكان » تنقل المناقشة خطوة أبعد .(٤)

---

(٣) ص ١٦٣ .

(٤) عالج هذا السؤال هيتييه في «أندريه جيد» ص ١٢٣ وما بعدها.

في « بروميثيوس مقيدا » يشرح نادل المقهى خلال حديثه مع بروميثيوس انه يحب أن يجمع بين الناس بشكل قائم على الصدفة بدون داع محدد في العقل ، وانه يبحث عن تقديم سلوكه بشكل « مجاني » .

ان الامر بشق النفس . ان الباعث هنا واضح تماما : ان النادل فضولي . ان نتيجة الجمع على مائدة ثلاثة غرباء لم يكد يتم تقديمهم ليست مما يمكن التنبؤ به في كل تفصيلة (هل في هذا فعل أو عمل ؟) : لكن من الواضح ان هذا يرضي فضول النادل ، وهذا يقوض زعم الفعل بأنه مجاني حتى أن المرء ليندهش ان كان هذا الزعم حقا كذلك .

فاذا لم يكن الفعل مجانيا ، فبأي طريقة يكون ذا أهمية خاصة ؟ انه مهم بالنسبة لجيد بمعنى ان النادل ليس منخرطا في العلاقة التي يخلقها وانسلاخه عن الحدث يمثل بالنسبة لجيد دور الروائي كما يتصوره ، بالرغم من أن التصور من الناحية العملية يتحقق أحيانا بشكل غير كامل .

غير أن السبب الحقيقي لعرض فكرة الفعل المجاني هو بدون شك الحماسة التي يشعر بها جيد بالنسبة للمفهوم (كمفهوم) . ومن الحق انه يجد المسالة صعبة للشرح أو حتى للاستيعاب ، لكنه يتهيأ لها في حالة من الافتتان :

« الفعل المجاني ! هل بالنسبة لك لا يبدو شيئا ؟ لكنه بالنسبة لي يبدو رائعا . انني منذ زمن طويل أعتقد انه هو

الذي يميز الانسان عن الحيوان : انه الفعل المجاني . انني اعتبر الانسان ، الحيوان القادر على الفعل المجاني . ثم بعد هذا انا أفكر في العكس : في ذلك الوجود الوحيد العاجز عن اثارة المجانية . المجانية ! احله اذن : بـدون عقل ــ أجل ، أقول لكم ــ صفوا الامر هكذا : بدون باعث ، بدون قدرة ، كما لو كان قد انطلق من تلقاء نفسه ! » (٥)

ان الحماسة هنا لا يمكن ان نخطيء في تبينها : لكـن تفكك حديث النادل يبدو أنه يعكس باخلاص التشوش الذي في ذهن خالقه ، لان القصة التي يسعى بها لتصوير وجهة نظر (والتي قامت عليها حكايـة « بروميثيوس مقيدا ») غـير حاسـمة تماما .

ان الاله زيوس متنكرا على هيئة مليونير يهبط الى باريس وهو يحمل معــه مظروفا يحتوي خمسمائة فرنك . وهــو يسقط منديله وعندما يلتقطه أحدهم يطلب منه أن يكتب له عنوانا ــ (أي) عنوان ــ على الظرف . ثم يصفع الغريب على وجهه ثم يبعث بالظرف على العنوان الذي يحمله .

وهذا الفعل لا يتفق في الواقع مــع الوصف المتحمس الذي يدلي به النادل :

« ... كلا ، ولكن مجانيا ، انه فعل لم يبتعثه شيء . هل تفهم ؟ ابتعاث ، انفعال ، شيء . الفعل المنزه عن الغرض ،

(٥) بروميثيوس مقيدا ص ١٠٥ .

ليس من النفس ، الدافع الذي بدون غرض ، ومن ثم بدون محرك ، الفعل الحر ، الفعل التلقائي ؟ » (٦)

نحن نجد الدافع في القصة واضحا كما هو الحادث في فعل النادل ، وهدفه هو هو نفسه في كلا الحالتين . ومن الواضح انه جرى تعليبه في الذهن . زيادة على ذلك فان اهميته السيكولوجية لا تزال بعيدة عن الكمال نظرا لانه هوى رب من أرباب الاوليمب لا هوى انسان .

ومع هذا اذا فشل جيد في اقناع القارىء ، فانه في « بروميثيوس مقيدا » التي وصفها واعتبرها مثالا على الفعل المجاني ، قد اقنع نفسه بأهمية وقيمة دراسة فعل من هذا النوع .

والتأمل في « اللا أخلاقي » و « الباب الضيق » لايمكن الا أن يعزز هذا الاقتناع . وفي هذا السياق نجد أن أكبر عنصر دال في وصف النادل للفعل المجاني يكمن في عبارة : « فعل بدون هدف ، (ومن ثم بدون سيطرة عليه) » . أن أفعال ميشيل واليسا تابعة لهدف من الاهداف ، وأبطال الروايات أسيرو « مشروع » ما بالمعنى الحرفي لكلمة أسير . ولا تتناثر كلمات جيروم في بداية القصة عرضا . انها كلمات حيوية : « انني أضع كل قوتي في معيشتي واستغل

(٦) المصدر السابق .

فضيلتي » (٧) . ولكي تتمكن النفس من أن تواجه عملية الاستنفاد هذه فانها تحررها بالضرورة من هذه القيود ، ولهذا لا يجب تنفيذ أفعالها لصالح مشروع ما : الفعل المجاني وحده لن يقيم العقبات في وجه امتلاء النفس . والاشتياق الى الفعل المجاني هو نتاج وعي بالوفرة والثراء داخل النفس .

وجيد بحثا عن تعريف الفعل المجاني في « كهوف الفاتيكان » يبدأ من هذه الفكرة :

« بدون (هوى) ، أنا مصنع : مجاني . وهو مثل الشر هو ما يسميه الانسان : الشر ربما يكون مجانيا هكذا .

ــ ولكن في مثل هذه الحالة لماذا الفعل ؟

ــ تماما ! من قبيل الترف ، من قبيل الحاجة الى اللهو واللعب » (٨) .

ولكن هذه بواعث ، والفعل المجاني وقد جرى تصوره بصرامة ، هو استحالة سيكولوجية . وقد اضطر جيد الى الاعتراف بهذا في موضع آخر . ويوجه هيتيبه الانظار الى مجموعة « لا تحكموا » حيث يقول : « ان كل فعل يبدو انسانيا وكأنه بدون دافع ، ما من فعل مجاني الا وهو كذلك في الظاهر » (٩) .

---

(٧) الباب الضيق ص ٧٥ .

(٨) كهوف الفاتيكان ص ٣١٧ .

(٩) هيتيبه ص ١٢٤ .

غير أن جيد كان مقيضا له أن يتخلى عن الفكرة تماما . وهو يصف سلوك كيريلوف أحد أبطال رواية دوستويفسكي « الشياطين » على أنه « مجاني تماما » : لكنه يقيم هذا بقوله انه يعني بكلمة « مجاني » « أن دافعه ليس دافعا خارجيا برانيا » . ومن الواضح أنه يستخدم كلمة «مجاني» بمعنى فريد بالنسبة له ، فهو يقرر بشكل نهائي أن « هذا السلوك (عند كيريلوف) من أجل أن يكون مجانيا ، لا يعني الا يكون بلا دافع » (١٠) .

وهذا هو المعنى الذي سيستخدم به تعبير «فعل مجاني» بشكل واع في « كهوف الفاتيكان » باعتباره متميزا عن الفعل اللا ارادي في « بروميثيوس مقيدا » .

ان الفعل الحاسم لن تدفع اليه ظروف خارجية ، ونمط التفكير الذي يحدد أو يعين الفعل بشكل طبيعي لا يستثار الا لكي يستبعد . وبالرغم من أنه ورد على لسان شخصية في الرواية ، فان من السهل أن تتبين أطروحة مماثلة عند جيد .

هنا مرة أخرى لا تعود مشكلة التحرر مسألة ذات أهمية . ولكن مرة أخرى : « أن تعرف كيف تحرر نفسك ليس شيئا ، الصعوبة قائمة في كيف تكون حرا » .

ولو كانت أفعالنا لا تدفع اليها الظروف ، فكيف يمكن أن تندفع أصلا ؟ ونحن نجد أن الروائي في «كهوف الفاتيكان»

---

(١٠) المرجع المذكور ص ١٣٤ — ١٣٥ .

هو الذي يقترح نقطة بداية في محاولة لتجنب الجواب . والمتحاور معه يقترح عليه أنه ليس من الصعب ان تجد دوافع للجريمة فيرد بأنه لا (يريد) أن يقدم اي دافع للجريمة ، فان ما يريده هو دفع المجرم وتحريكه . «أجل ، انني أتخذ موقفه المرتكب للجريمة مجانيا ، وأرغب في ارتكاب الجريمة دون دافع » .(١١) هذا المشروع يتصوره مؤلفه في حالة عقلية مشابهة لتلك الحالة التي وصل اليها « السيد ديفوكوبليز » تحت تأثير الخمر والسكر ، وهي تنهض على مجادلات مماثلة تسمح بالاختلاف الهام من أن الجدل هنا يتم في اطار الادب:

« ... المنطق ، النتيجة ، التي اقتضيها لشخصياتي، من اجل أن أؤكد أنني أقتضيها لذاتها ، وهذا لا يكون طبيعيا . ونحن نكون على نقيضه تماما للصورة التي رسمناها في البداية ... ولاول وهلة أرى أمامي المجال حرا ... هل تفهم ما تقدر أن تقوله الكلمات : المجال الحر ؟... منذالآن لا أعود أفهم شيئا من هذه الكلمات ، انني أفهم كل انسان مخلص ، انني أقتضي مالا يحمل شيئا ، ومن ثم أعرض أكثر الامكانيات غرابة من تلقاء ذاتها . ومن ثم ليس الامر ما هو قائم على الصفحة ، انني أتجاسر وأعطيها سيرورتها . ونحن نصبح على ما يرام ! » (١٢) .

اذن فان الافعال المجانية سيؤديها الانسان المخلص ،

---

(١١) كهوف الفاتيكان ٣٥٠ .

(١٢) كهوف الفاتيكان ص ٣٩٨ ــ ٣٤٩ .

الانسان الذي لا ينظر الا الى نفسه ، الانسان الذي تحلل من روابط الاسرة والمجتمع والرسالة في الحياة والسمعة. الانسان الذي ليس لديه ما يكسبه ليس لديه ما يفقده . فهل يمكن تصور مثل هذا الانسان ؟ ربما ... على الورق .

ان « لافكاديو » ابن حرام ومن ثم يستبعد من الروابط الاسرية . لقد ولد من دبلوماسي فرنسي وعشيقة رومانية وتربى في بلدان عديدة على يد سلسلة كاملة من « الاعمام والاخوال » من قوميات مختلفة ، وهو لا تربطه أية روابط بأي بلد . وان أناقته الطبيعية ومكاسبه الساحقة تجعله مغتربا في الطبقات الدنيا للمجتمع ، ونقص الوشائج وتاريخه بصفة عامة يجعلانه مغتربا في الطبقات العليا : انه بلا طبقة ينتمي اليها . وهو بدون مهنة ، غير أن هناك أسطورة تؤكد أنه ليس بحاجة لكي يكسب معاشه . وهو بلا دين ولا قوانين خلقية تقليدية . ويجري تصوير طبيعة جنسيته بعناية بشكل خاص على أنها ملتبسة .

انه يتنقل كيفما اتفق بشكل أو بآخر بين روما وبرنديزي وهو يجد نفسه جالسا في العربة نفسها كصاحب متجر في منتصف العمر متواضع مريض سخيف نوعا ما وبينه وبين لافكاديو لا توجد اية علاقة تلزم أيًا منهما . منهما .

ويرى لافكاديو في الموقف الفرصة لارتكاب جريمة

لا دافع لها : وهو يستخدم هذه الكلمات عينهـا . وليست هذه هي المرة الاولى التي لف فيها خياله حول هذه الفكرة فذات مرة تخيل نفسه يغتال سيدة عجوزا (أخطأ وحمل صرتها عمدا) وفي تلك المناسبة وجد نفسه يتأمل في ضآلـة الحياة الانسانية وفي استعداده الذي يخاطر به بحياته اذا ما عرضت له أية نأمة جديرة بالاعتبار . ولكن من العبث أن نلتزم في (الخيـال) بمثل هذا الفعـل ، لان الانسـان لا يستطيع أن يتكهن بما لا يمكن التنبؤ به ، وان مالا يمكن التنبؤ به هو الذي يحدث في الواقع . « ان الانسان يتخيل (ما سيحدث) ومع هذا يقبع ساكنا دائما . وما من شيء يحدث أبدا الا وكمـا يعتقـد ... انـه ما يستثـار ... والانسـان لا يفعل الا القليـل ! « ماذا يعرف ! » كمـا لو كنت سأفسر (الخلق) ... محبة ذلـك الذي يقدر علـى الوجود ... واذا كنت الدولة فانني أنهي الامر » .(١٣)

هنا يشير لافكاديو الى دافع : « هذا هو ما يدفعنـي الى الفعل » . الخيال شيء رائع ، غير أن الخيال بطبيعتـه نفسها (يتكهن) ، وما يبحث عنه لافكاديو هو ما لا يمكن التنبؤ به بالضبط . ولما كان خياله يلهو بجريمة فليريزوار فانه يصبح أكثر اتضاحا أن ما يفتن لافكاديو فوق كل شيء هو ما لا يمكن التنبؤ به (في داخله) .

« كم هو بعيد ذلك الذي بين الخيـال والفعل !...

---

(١٣) كهوف الفاتيكان ص ٣٢٨ .

وهنا كم تكمن الاخفاقات » (١٤) .

ويمكن ابراز الاطروحة بصفة عامة . فعندما يتكهن المرء بان الانسان سوف يفعل أو سوف لا يفعل شيئا فعلى اي أساس ينهض هذا التكهن ؟ انه ينهض على تصور لطبيعة الانسان موضع الكلام وعلى افتراض أن افعاله ستتحدد بالضرورة بظروف سيتصرف ازاءها بطريقة يمكن التنبؤ بها . واذعان جيد قائم في أن مثل هذا التكهن لا يمكن التعويل عليه ، لان مثل هذا التكهن ينكر على الانسان الحركة الذاتية التي هي الاساس الوطيد لوجوده .

ولا يكفي تصور وجود هذه الحركة الذاتية ، واصالة هذه الحركة عند جيد لا يمكن أن تنهض الا بتجليتها ومن ثم يرتكب لافكاديو الجريمة .

وفي النقاش الذي دار حول « كهوف الفاتيكان» هناك قدر كبير قيل عن فشل جيد في تقديم مثال عن فعل مجاني أصيل . بل أن « هيتييه » يعترض على فشله في تقديم شخصية مقنعة سيكولوجيا في لافكاديو . ولكن لا يمكن انكار اهمية الكتاب لا لشيء سوى للاثر الذي تركه في جيل كامل من القراء .

وبطبيعة الحال ، هذا الكتاب هو قطعة أدبية متوهجة

---

(٤١) كهوف الفاتيكان ص ٢٣٧ .

عن رواية المغامرات . ان الكتاب عبارة عن (ملهاة) فكهة بشكل كبير عن الكنيسة الكاثوليكية والماسونية . وتموج الكتابة يشكل ابتعادا كبيرا عن تراث القرن التاسع عشر، غير أن تأثير الكتاب لا يرجع الى مثل هذهالاعتبارات ولا شيء في براعتها السطحية يرقى الى قوتها .

طوال الكتاب ، خلال صفحات الهزل ذي النكهة الواضحة ، والميتافيزيقا التجريبية تتردد (صرخة القلب) الكبيرة :

« اننا متعارضون . . .

انني اتبع ظلي . . .

حتى انني ربما اعرفه ! »

هذه هي الاطروحات الكبرى في رواية « كهوف الفاتيكان » ، ولا يقلل من قوتها وفعاليتها التحفظ الذي تعرض به ، فالتحفظ نفسه الذي يعرض مثل هذه الموضوعات في اطار السخرية والهزل يوحي بأن هذه الموضوعات تشكل في المقام الاخير جدلا حيا ويزداد هذا قوة كلما حاولت أن تتخفى .

« ان حياتنا يجري تقليدها بشكل ساخر » وربما يحدث هذا أساسا بسبب « مجموعة صغيرة من أصدقائنا وعلاقاتنا . . . لا نستطيع أن نسمح لانفسنا أن نهاجمهم».

ولقد ظلت حياة جيد تقليدا ساخرا عدة سنوات . لقد قام بقمع الحقيقة عن نفسه على حساب الغضب من أجل خاطر اصدقائه ، وخاصة من أجل خاطر زوجته .

يقول في قاموس (ابستل) عن «كهوف الفاتيكان» :
« انني أبدو كما لو أنني لا أبدو الآن ! لا انني اكتب كتبا مليئة (بالسخرية) (أو عن النقد ان شئت) . ولكن هذا آخرها . فاذا كان من أجل القلة ، ان كان من أجل نفسه فقط ، فان الوقت قد حان لتناول أوضح . لقد حان الآوان أن نتناول « كوريدون » .

الفصل السادس

كوريدون

اذا كان جيد كان مستعداً لنشر « كوريدون » في التو بعد نشر « كهوف الفاتيكان » فان نشوب الحرب العالمية الاولى استبعد الفكرة من ذهنه دون شك . لقد انغمس جيد قلبا وقالبا في عمل منظمة اللاجئين المتخصصة اساسا في مهمة العناية باللاجئين البلجيكيين الذين تدفقوا على فرنسا . ولقد كان هذا العمل شاقا للغاية وخاصة بالنسبة للاعصاب والانفعالات ، غير أن جيد لم يأل جهدا في عمله ، وفي النهاية هزمه القلق الشديد . وفي ابان هذه الفترة عاش الازمة الدينية التي الهمت رواية «لماذا نمكويد وانت ؟ » (١٩٢٢) التي بدا لاصدقائه فيها أنه يعود الى عقائده المسيحية ان لم يكن ـ في الحقيقة ـ واقفا على شفا الكاثوليكية الرومانية . وفي الواقع ـ حتى في هذا العمل الاخير ـ فان وضعه أقرب بكثير الى النزعة الانجليكية الصوفية عند دوستويفسكي ، وفي محاضرات جيد ومقالاته ـ التي جمعت ونشرت عام ١٩٢٣ ـ يكاد يستحيل التمييز

بين دوستويفسكي وجيد الذي يعلق عليه .

في عام ١٩١٩ نشر جيد « السيمفونية الرعوية » . وهذه الرائعة الصغيرة نالت النجاح الذي تستحقه : غير ان جيد نفسه رأى فيها ــ بحق ــ مفارقة تاريخية ، ارتداد الى فترة سابقة لرواية « كهوف الفاتيكان » . على أية حال وضع جيد في عام ١٩٢٤ نهاية لكل مسايرة للتيار . وبالرغم من محاولات أصدقائه العديدة لثنيه عن عزمه أجاز طبعة تجارية لنشر « كوريدون » وكان جزء من « كوريدون » قد طبع طبعة خاصة ــ في اثني عشرة نسخة ــ في اوائل عام ١٩١١ ثم طبعة ثانية خاصة لحفنة من الاصدقاء ــ في احدى وعشرين نسخة ــ عام ١٩٢٠ وأخيرا نشرت دار جاليمار الكتاب في طبعة تجارية .

ونشر هذا الكتاب يعد عملا من أعمال الشجاعة ، فليس كتاب « كوريدون » اعتذارا روحيا عن الجنسية المثلية فحسب ، فهو أيضا اعتراف صرع وعام (بعادات) جيد الجنسية الخاصة . ولقد أثرت هذه الاطروحات في الجمهور حتى أن القراء فشلوا ــ بصفة عامة ــ أن يستخلصوا اي شيء عدا هذا من الكتاب . ولكن في « كوريدون » شيء اكبر من هذه المعضلة بشكل ضيق . فاذا كانت « كوريدون » اعتذارا عن الجنسية المثلية فهي أيضا اعتراف بايمان ما من جانب فنان كبير ، وهي عمل كبير من أعمال الفن . ولقد

اعتبر جيد حتى آخر أيامه بأن « كوريدون » أهم أعماله(١) ، والكتاب لا يعرض كدعاية مباشرة بل كسلسلة من الحوار بين شخصيتين خياليتين في اطار خيالي . ان الاطار والشخصيات يجري التخطيط لها بخفة والشكل الفني ليمتد تحت الثقل المطلوب منه أن يتحمله : غير أن شعورا حقيقيا بالدراما مع هذا يتم ابتعاثه . هذا هو عمل فنان . واعتراف الراوي أنه اتخذ « احتياطا تبلاغية معينة » رغم أنه يشير في المقام الاول لاستخدامه البارع للاقتباس ، له تطبيق اكثر عمومية وتصريح معقول بالتعبير عن الفكرة بشكل اكبر او اقل منها .

ان معظم الكتاب مخصص للاجابة على اتهامين أساسيين موجهين ضد الجنسية المثلية : أنها ضد الطبيعة وأنها مضرة بالمجتمع . ويرد جيد على كل من هذين الاتهامين على أساس من التدليل العلمي أو التاريخي منه استمد ما يمكن ان يسمى القضية العلمية او الموضوعية للدفاع . لكن في القضية يثير جوابه مجادلات هي مجادلات جيدية بصفة خاصة : وفي هذه المجادلات يكمن الاهتمام الاولي بكتاب « كوريدون » .

يبدأ جيد فيورد كيانا مؤثرا من التدليل العلمي لاظهار أن الممارسات الجنسية المثلية شائعة في المملكة الحيوانية بأسرها . وهذه حقيقة موضوعية لكنها عند جيد مناسبة

---

(١) المذكرات ص ٢٨٧ .

رائعة لشن هجوم شنيع على التصور المحدود « للطبيعة » التي يقتصر المجتمع المعاصر عليها . وحتى يشن هذا الهجوم يطلب عونا من حليفين قويين للغاية : مونتني ــ الذي يمكن أن نفترض أنه من صفه ــ والشخص الآخرلدهشتنا ولتأثيره علينا هو باسكال .

باسكال أولا :

« انني أقدر أن هذه الطبيعة ليست في ذاتها عــادة اولية بقدر ما أن العادة هي طبيعة ثانية » (٢) .

ثم مونتني :

« ان قوانين الضمير التي تزودنا بها الطبيعة ساعــة مولدنا تتولد من العادة » (٣) .

ان المتحاور مع كوريدون يعترض على استخدام نص منتقى عفو الخاطر من باسكال لا لشيء الا ليزود كوريدون بتعلة لاقتباس آخر من المصدر نفسه :

« ان طبيعة الانسان هي طبيعــة شاملة ، (طبيعــة حيوانية) وليس هناك شيء لا يمكن رده الى الطبيعة .

وليس هناك شك في أن الطبيعـة ليست هي العادة .

---

(٢) ص ٢١٠ ــ ٢١١ .

(٣) ص ٢١١ .

والعادة هي التي تعمل عملهـا نظرا لانها تقيـد الطبيعة ، واحيانا ما تتغلب الطبيعة وتحصر الانسـان في غريزته بالرغم من كل عادة سواء للافضل أو للاسوأ » (٤) .

وعندما يقترح محـاور كوريدون أن الجنسية المثليـة مشروطة (بوسط) خاص ، فانه يرد الهجوم ببراعة ويجد، ببراعة لا يمكن أن تمر دون انتباه لدى مؤلف مختلف عـن باسكال ، يجد النص الكامل الذي يعزز موقفه :

« احلم في مجتمعنا ، في آدابنا بامكانية قيام جنس بين المتماثلين ، لقد لقن الجميع الجنس مع الآخر المغاير ، انـه شيء مخترق ، مستثار شـأن المسرح والكتاب والصحيفـة وافيشات الحائط واحتفالات الصالونات والشوارع (اذا لم تستطع أن تحب كل هذا فانـك تكون سيئا) هكـذا كتب دوماس الابن في تصديره لروايته (مشكلة المال) » (٥).

بالاختصار ان الجنسـية المثلية مستبعدة من مجتمعنـا لا بالطبيعة بل بالعادة . ومن الحق أن جيد نفسه لا يخلو من تحامل وابتسـار . ولكن حتى الابتسـار في « كوريدون » والملحوظ تماما ليس ابتسـارا في صالح الجنسـية المثلية ، بل هو ابتسـار في صالح الفنان .

وهكذا ، بالرغم من أنه يقول ان معظم الامم المولعـة

---

(٤) المرجع المذكور .

(٥) كوريدون ص ٢١٣ .

بالحرب في التاريخ كثيرا ما كانت الامم التي ازدهرت فيها الجنسية المثلية ، فانه ليس لدينا ما يدعونا الى أن نفترض في جيد اعجابا خاصا بصفات الولع بالحرب (بصرف النظر عن الابتسارات التي يشارك فيها المجتمع والتي ينقدها). ولكنه عندما يقول ان ما يسميه « أصداء من الجنسيةالمثلية» هي من الناحية التاريخية فترات الازدهار الفنيالعظيمة، فانه يطلق العنان لتحمساته .

يقول ان الفترات الكبرى من الانتاج الفني يجب البحث عنها في اليونان قديما وايطاليا ابان عصر النهضة أو فرنسا في عصر النهضة وانجلترا في عصر الملكة اليزابيت والفرس أيام حافظ الشيرازي وروما في عهد أوغسطس ، أو فرنسا في عهد لويس الثالث عشر ، وهذه الفترات بالضبط هي الفترات التي كانت فيها اللواطة هي «الفترات الاكثر ظهورا، ويمكنني القول الاكثرها رسمية » (٦) . وفي الحقيقة قد يقول الانسان أن الفترات أو الاماكن الوحيدة التي لا يزدهر فيها الفن هي الفترات التي تكون فيها الجنسية المثلية مجهولة . وهذا موقف متطرف . وجيد في سعيه للتبرير يقدم نظرية ليست هي فحسب في صميمها نظرية«كوريدون» بل هي نظرية خاصة بتصوره الكلي للعلاقة بين الجنسية والفن .

---

(٦) المرجع السابق ص ٣٠٩ .

انه ضـــد الرأي الذي ينسب للجنسية غاية نفعيــة محض ـ مواصلة النوع ـ ويقول ان مثــل هذه النظـرة لا يمكن أن تصمد في وجه الهيمنة الشاملة لعنصر الذكر في المجتمع الانساني . وحتى لو كانت هناك نظرية غائبةللمسألة يمكن قبولها ، فان التكاثر لا يمكــن أن يكون سوى غايــة (واحدة) من غايات الجنسية والا كان التطرف الزائــد للعنصر الذكري الذي لا يمكن أن تستنفده هذهالمهمة مضيعة تصورا غريبا بالنسبة لهذه النظرة .

عندما تسود الاعتبارات النفعيــة ـ مثلا في التربيــة الجماهيرية ـ تكون المشكلة قد حلت بشكل مصطنع عــن طريق القتل أو الخصاء ، فحل يخصص للقطيع ، وديــك يخصص للدجاج وهكذا . ولكن الطبيعة لا تمارس الخصاء. فماذا يحدث للعنصر الذكري في الذكر غير المخصي ؟ يقــول جيد ان هذا العنصر يصبح « خامة قابلة للتنويعات » أي مادة متعددة الجوانب . وهو يؤمن بأن هــذا هو المفتاح : « لما نسميه رفع مورفين الجنس » (٧) . ومن بين المصادر المختلفة التي يدرجها جيــد لتعزيز أو لتصوير قصــده لانحتاج أن نشير هنا الا الى برجسون الذي وجد جيد عنده مصطلحات تقليدية جميلة لصياغة موقفه .

يميز برجسون في المــادة الحية بين نمطين من الطاقة :

---

(٧) المرجع السابق ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

اثارة الطاقة والارتقاء بالطاقة : « ان دور الطاقة المثارة هو رفع الطاقة الدنيا الى مستواها الحق بتمثل المواد العضوية. وهذه الطاقة تشكل نسيج المادة » (٨).

وهذا هو الدور المميز للانثى . ودور الذكر بالعكس ارتقاء بالطاقة حيث أن هذا الدور يرتفع على مثل هذه الانشغالات . ويوضح كوريدون وجهة نظره ويضرب عليها المثل بالاشارة الى خطبة ألقاها «بيرير» للدورة المشتركة السنوية للاكاديميات الخمس عام ١٩٠٩ ويصبح المتحاور معه أشبه بالكورس .

ان المعاني المتضمنة في هذا الخط من الفكر مؤقتة . ان النصيحة التقليدية للفنان هي : « اتبع الطبيعة اولا » . وهي نصيحة تحتفظ بصدقها بالنسبة لجيد : لكنها اكتسبت قوة جديدة ومعنى جديدا . لقد كانت الطبيعة عند الشاعر الانجليزي الكسندر بوب ومعاصريه ــ مثلا ــ مصدرا وضامنا للقيم النفعية (للانسان الشريف) والمجتمع البورجوازي المنظم الذي هو بيئته المناسبة . والعكس هو الصادق الحقيقي عند جيد . ولا يوجد شيء سوف يقوض القوة المقيدة والمحبطة للقيم الاجتماعية التقليدية على نحو سريع اكثر من مواجهة فقرها وبغنى الطبيعة .

وان متابعة الجدال في الاطر النفعية يعني تزييف

(٨) المرجع السابق ص ٢٣٠ .

المسألة فالطبيعة ليست نفعية : فجمال القيم الميتة على جناح فراشة حركة تلقائية عشوائية ـ ترف ، لعبة ـ « فعـل مجـاني » .

وقد تزودنا الطبيعة بأمثلة عن مثل هـذه الاعمال ، لكن من طبيعة القضية أن هذه الامثلة لايمكن أن يتناولهـا الفنان (كنماذج) . ومطلوب من الفنان وهو يتبع الطبيعـة الا يعبر عن (ما تعبر عنه الطبيعة) بل ان يعبر عن نفسـه (كما تعبر الطبيعة عن نفسها) اي بحركة ذاتية كاملة تنبع من الوفرة ، والعمل الفني غزارة .

الفصل السابع

مزيفـــو النقود

في الاهداء الرسمي الموجه الى روجر مارتن دي جار يصف جيد كتاب « مزيفو النقود » بأنه « روايتي الاولى »، وبالرغم من أن الطبيعة الثورية للكتاب في عين جيد تتجاوز بكثير المسائل الصورية الخاصة (بالنوع الادبي) فان المسألة الصورية قد طرحت بوضوح ومكانها في مقدمة العمل .

لماذا رواية ؟ لان الرواية ـ في المقام الاول ـ تمثـل بالنسبة لجيـد ما اسمـاه جوليوس في كتـاب « كهوف الفاتيكان » « المجال المفتوح » . انها تحبب الى جيد بشكل طبيعي صيحة القلب : « دع كل شيء يمكن أن يقع ، يقع» مع القرار :

« انني أريد كل عكس دون تحفظ » (١) .

ولكن اذا لم تكن هنـاك تحفظات لتأثير جوهر هـــذه

(١) المذكرات ص ٢٠ .

الروايــة التي قصــد بها ـ بوضوح ـ أن تكون نوعــا من « الخلاصة » فان لدى مؤلفها تحفظات هامة فيما يتعلــق بطابعهــا .

لقد بحثت الرواية عن خلاصها دوما في التقارب الاوثق مع الطبيعة . يقول جيد انها لم تعرف اطلاقا « تباعد الحياة المتعمد » الذي يجعل (الاسلوب) ممكنا عند كتاب الدراما الاغريقيين ـ مثلا ـ أو مسرحيات كتاب القرن السابع عشر في فرنسا . مثل هذه المنتجات المؤسلبة منتجات انسانيــة بشكل كبير : الا أنها في الاعمــاق انسانية فحسب . انها لا تزعم أنها واقعية وهي لا تدخل في منافسة مع تأثيــرات الطبيعة : انها تكشف الحقيقــة الجوهرية التي تكمن فــي الطبيعة عن طريق الفن .

يقول جيد ان هذا النوع من الامتياز قاصر الى حــد كبير على المسرح وهو الآن يفضل ان يحاول في الروايةالصدق المؤسلب والانسانية المؤسلبة التي لدى الشخصياتالمسرحية مثل عطيل أو طرطوف .

وبطبيعة الحــال ، لا يستطيع ان يستخدم الطريقــة نفسها التي لدى كتاب الدراما في العصر الذهبي والذييقوم فنهم الرئيسي على فن الاختيار والانتقاء ، وعليه هــو ان يحقق غايات جمالية مماثلة بتطبيق وسائل فنية مختلفــة على (نوع) أدبي آخر . ان الرواية في نظر أصحاب النزعة الطبيعية انما تعرض « لشريحة من الحياة » ، وجيد ليس

لديه ما يعترض به على هذه الصنيعة . لكن المشكلة في رأيه هي ان الروائيين يقطعون الشريحة دائما في الاتجاه نفسه في الاطار الطولي . فلماذا لا تستقطع الشريحة بالعرض او بالعمق ؟ ويقول أما بالنسبة له فهو لا يريد أن يستقطع شيئا وهذا هو السبب الذي يجعل الرواية بلا موضوع أو بالاحرى بلا موضوع (واحد) كما يقول المؤلف .

والجهد المبذول من أجل الاسلوب هو ـ لهذا ـ عام بشكل جوهري : انه الجهد الذي يبذل من أجل (الحياة المؤسلبة) ولما كان جيد قد وضع هذا في الاعتبار فانه يتلاعب بفكرة الرواية (الخالصة) غير انه يتبين في التحليل الاخير أن هذه الصيغة انما هي صيغة مغرية اكثر منها صيغة بناءة . وعلى اية حال ، هناك (نوع) أدبي جوهره ادراك الحياة في اطار الاسلوب : ذلك (النوع) هو الملحمة . يكمن جوهر الطريقة الملحمية في نقل الواقع من مستوى الى آخر . ومسألة ما اذا كانت مثل هذه العملية مرغوبة أم لا ليستوفي ذاتها بالمسألة الهامة لانها محتمة ، فما من فنان يبحث عن عرض الحقيقة يستطيع ان يقصر نفسه على منظور واحد . والفكرة القائلة بأن جيد قد مارس ذات يوم عرض « مزيفو النقود » للقيام بدور بطل واحد ـ لافكاديو ـ سرعان ما تخلى عنها .

وبدلا من هذا نجد أن نص الرواية لا يخلق بالشكل السردي القصصي المباشر فقط بل أيضا عن طريق الرسائل

والمذكرات والحوار والمونولوج بل وحتى الاحلام حيث يجري تناول الواقع من وجهات نظر مختلفة ويجري عرض النص في اطر مختلفة مماثلة .

والحادثة التي تدور حولها أحداث الكتاب والتي يستمد الكتاب عنوانه منها هي مؤامرة اجرامية تتضمن استغلال عدد من أطفال أسرة طيبة من جانب عصابة تزييف . وخداع مزيفي النقود للاطفال يتم ليرمز الى حدث نمط معين من الادب .

ان التباعد عن الحياة الذي يستطيع ان يجعل الاسلوب ممكنا هو شكل من التجريد ، ويستخدم جيد كلمتي« يضفي طابعا مثاليا » و « يؤسلب » على انهما مترادفان . وهو لا يعتني بالشخصية كشخصية اكثر من عنايته بالحدث كحدث . واحتشاد الشخصيات ــ مثل احتشاد الاحداث ــ هو المادة الخام للفنان . ولا تكمن أهميتها فيما هم عليه بل فيما يكشفون عنه ، وما يكشفون عنه لا يتوقف عليهم بل على قوى الرؤية لدى الفنان .

حيث يستخدم الفنان بالفعل أنموذجا فانه يبدأ باخضاع مظاهر الانموذج للحركة الذاتية : انه يفرض (على الانموذج من قبل) الحالة التي يظهر فيها الانموذج نفسه . وفي حالة شخصية مستمدة بشكل مباشر من الحياة ،تكون صعوبة قهر الحركة الذاتية للانموذج شديدة للغاية بل ربما تكون غير قابلة لان نقهرها ، وسوف يتحدى الواقع الذاتي

للانموذج الواقع الفني للشخصية ، وان وظيفة الشخصيــة هي أن تكون شفافة ، ولكن من طبيعة الانموذج أن تكــون ضبابيــة . لهذا فانه غــير مسموح سواء للشخصيات أو للاحداث أن تفرض نفسها على المؤلف واذا كانت مهمة فذلك لانه هو الذي اختارها . غير أنه قد يختار غيرها بطريقة مماثلة. من الناحية النظرية ــ على الاقــل ــ يبدأ الكتاب بطريــق الصدفة ويضطرد بطريق الصدفة وينتهي بطريق الصدفة .

« انــه يستطيع ان يستمر .. بالكلمات التي تحــدد (مزيفي النقود) » (٢) .

فاذا لم يكن لرواية « مزيفو النقود » موضوع (جزئي خاص) فان السبب يرجع الى انه اذا كان هنــاك أي شيء يمكن ان ينفصل على نحو كاف عن العمل الذي يمكن تميزه على أنه « موضوع » فانه سيكون غريبا عن تصور جيد للعمل الفني نفســه . بقول آخر ، ان العمل الفني هو موضوعــه عينه ، وهذا ــ بلا شك ــ هو السبب الاساسي للحيلة التي يلجأ اليها جيد على نحو متكرر : انه يصور في الرواية الكاتب وهو يعمل . في كتاب « مذكرات أندريه والتر » نجد والتر مؤلف كتاب (المستنقعات) ، وفي رواية « مزيفو النقود » نجد ادوَر يكتب « مزيفو النقود » وهكذا دواليك . لكــن هناك شيء آخر : ان خلق الفن هو خلق الاسلوب ، والاسلوب هو واقع الفنان وحقيقته .

---

(٢) مزيفو النقود ص ٤٧٢ .

ينقل الفن المؤسلب الواقع بطريقة الانكسار في الموشور الزجاجي . ان فن الروائي أشبه بفن صاقل الجواهر الذي يقطع الجوهرة ليجعلها تعكس مزيدا من الضوء . والشخصيات المختلفة و (البيئات) المختلفة في « مزيفو النقود » انما تمثل بالمعنى الحرفي وجهات نظر مختلفة .

واحاطة كل وجهات النظر المختلفة هذه برؤية واحدة هي معيار مدى وتعدد امكانات الفنان . ومن الخطأ أن نفكر في « مزيفو النقود » ـ كما فعل بعض النقاد ـ على أنها تجميع (لتجسدات أفكار) جيد جميعا . فما من شخصية الا وهي أبعد ما تكون عن أن (تمثل) جيد ، والرواية ليست تجميعا بقدر ما أن النقطة المتعارضة ليست تجميعا .

والاطروحات التي في « مزيفو النقود » ليست أطروحات جديدة عند جيد وهي لا يجب أن تكون كذلك . والجدة في الطريقة التي تعرض بها هذه الشخصيات هي التي تبدلهم فيعاد خلقهم أدبيا . (طريقة) الكتاب هو الخلق الحقيقي لجيد في « مزيفو النقود » . وما هو هام في الكتاب ، ما يدور عليه الكتاب ـ (موضوعة) بقول آخر ـ ليس أي واقع متقبل أو مفروض ، بل التباعد بين مثل هذا الواقع وادراكنا عنه :

« منافسة العالم الحقيقي والعرض الذي نقوم نحن بعمله » (٣) .

---

(٣) مزيفو النقود ص ٢٩٧ .

ولا يوجد شيء أكثر بساطة من الزعم بأن على الواقعي أن يقترب أكثر من الحقيقة وهو يقترب أكثر من « الواقع » فما يقترب منه ليس الا صورة من الواقع وهي صورة ليس فيها ما يجعلها جديرة بالثقة أكثر من غيرها . الوقائع هي هدايات لا يعول عليها للحقيقة لانها في جوهرها مضللة . وقبل ان نقدر معنى الواقعة ، قبل أن نفهم طبيعتها الحقيقية ، يجب ان نقيمها نقديا ، وعملية التقييم هذه لا يمكن أن تبدأ بالوقائع ، يجب أن تبدأ بالافكار :

« ان الواقعيين ينقلون الوقائع ، ويوفقون الوقائع لافكارهم . ان برنار شخص واقعي . واخشى الا أستطيع ان اتحادث معه » (٤) .

ولا يمكن لشيء أن يكون أكثر وضوحا وربما أكثر عدلا من هذا التأكيد للحركة الذاتية لدى الفنان . ولكن هناك شيء في الموقف الذي قصد منه جيد أن يكتب «مزيفو النقود» ليس ببساطة الاعتراف بالنسبية التي يبدو أنها قامت عليها .

لم يحدث من قبل أن اعتنق جيد نغمة قاسية مثل تلك النغمة التي في « مزيفو النقود » فتصوير شخص ذي رسالة أدبية معقولة من كتاب « كهوف الفاتيكان » ـ مثلا ـ جرى بنوع من الازدراء الفكه الذي يحض على المشاركة

---

(٤) المرجع السابق .

الوجدانية أحيانا . أما تصوير « باسافانت » في « مزيفو النقود » فقد جرى بكراهية حقيقية . ووصف غداء ادوار مع مولينييه خشن لدرجة الوحشية . وتقوى « فيدل» مدبرة المنزل يصبح بغيضا بالاستغلال البشع لراشيل .

ونادرا ما يقال ان جيد كاتب فكه عظيم . وكتاب « المستنقعات » على سبيل المثال يجب أن يكون من اكثر الكتب التي ألفت فكاهة . وهناك فكاهة من نوع ما في رواية « مزيفو النقود » ولكن نادرا ما تكون الفكاهة أكثر مرارة مما هي على لسان آرماند ـ الروح الحساسة التي فيها يتخثر لبن الشفقة الانسانية بالاشمئزاز .

ان الهجوم على الرياء ، والتنديد بالحقيقة الدنيئة الكامنة وراء المظاهر الموقرة أمور ليست جديدة ولا أصيلة عند جيد . والمرارة الخاصة لرواية « مزيفو النقود » لا يجب شرحها بأن الرياء قد سمح له أن يفرض نفسه . بل يجب شرحها بأن الحقيقة ، أو على الاقل الايمان الصالح ، ممنوعة أو غير بينة . وهنا شيء أكثر من مجرد اختلاف في التأكيد .

ولكي نفهم هذه المرارة ليس علينا الا ان ننظر في حالة جيد العقلية في وقت كتابة « مزيفو النقود » . لقد حكى لنا أن كل كتابه هو دعوى قضائية ضد نفسه موجهة الىأولئك الذين يعتبرهم عزيزين عليه وخاصة زوجته بطبيعة الحال .

ان كل سطر كتبه قد كتبه لها ، وكل كلمة موجهة اليها بأمل تعليمها ان تفهم ودفعها الى الغفران ، وتمكينها من محبته . لقد تشكلت شخصيته كلها بمحاولة التطابق مع الصورة التي يعتقد أنها تجدها مقبولة . وهذه الصورة هي التي ظل حتى تلك اللحظة سجينا لها . وما رفضه في «مزيفو النقود» أن يرسم نفسه على هذا الفرار الا فعلا من أفعال الانعتاق . وهو من اجل الحب قد قبل تسوية اخلاصه كفنان: لكن الثمن كان باهظا بشكل لا يستطيع الحب أن يدفعه. والاخلاص هو رهينة الحب ، ومرة اخرى فان العمل الفني تحرر ، ولكن ما من هزة فرح تصاحب هذا التحرر ، لانه تحرر من الحب .

وفي مذكراته عن « مزيفو النقود » التي احتفظ بها وهو يكتب الرواية والتي تتضمن تأملاته اليومية في تقدمها يثير عملية لم يصفها في الواقع بالتفصيل في « مزيفو النقود» لكن تأثيرها مع هذا يحيط ويهجن ــ في الواقع ــ على العمل كله . فبعد أن أشار الى مفهوم « البلورة » الذي شهره ستندال يواصل الكلام فيقول : بينما « البلورة » التي يتحدث عنها ستندال تكون فجائية فان شجن الحب يوجد في العملية العكسية « الشغل المتئد العكسي الا وهو شغل (التفكك) » (٥) .

وفي هذه العملية يلعب دين مادلين دورا حاسما . ان

---

(٥) المذكرات ص ٢٠ .

جيد يشعر بغيرة من الله الذي يبدو لـــه في ضوء منافس منتصر بوسيلة غير عادلة . وهو لا يتعلم كراهية هذا المنافس فحسب ، بل كل شيء مستمد منه . وهو يكره فوق كـل شيء حائط التعصب الاعمى والتحامل والابتسار الذي يحول بينه وبين أن يحظى حتى بمن يسمعه بعدالة قبل أن يحكم عليـه .

وفشل أصدقائه المسيحيين ــ وخاصة مادلين ــ في الاستجابة الى الدعوى الطويلة والحارة للفهم المتعاطف الكامن في كل شيء كتبه يبدو غير عادل بسبب التضحيات التي بذلها ليستبقي مشاعرهم (هم) واظهار تقدير اصيل لوجهة نظرهم (هم) . ولقد أوصل الكرم الى حد تشويه النفس . فقد دفعته رقته الى كبت الحقيقة ، والآن واضح أن الرقة لن تجدي . ولو يقدر له أن يعيش حياته ويتحدث عن الحيـاة حسب ما يراها أي اذا كان (نفسـه) اذن فان التنازلات التي اتخذها حتى هذه اللحظة يجب أن تتوقف . وهذه هي الروح التي تسيطر على قصة الليدي جريفيث عن غرق السفينـة « بورغونيا » . فتقص كيف أن البحـارة في قارب انقـاذ مزدحم بمن فيه قد قطعوا أيدي أو أصابع الناجـين الذين كانوا يحاولون أن يعيلوه .

لقد أحرزت الليدي جريفيث قوة جديـدة ، أو علـى الاقل صلابة جديدة من خلال زوال الوهم عندها ، وكذلـك الامر مع جيد . والصراع الطويل للتوافق مع اطار قيم مادلين

وعالم مادلين قد انتهى . لقد فشل التوفيق في تقديم أساسي للتصالح والآن قد رفض التوفيق أو الصالح . والاحباط الذي شعر به جيد ازاء عماء أصدقائه البورجوازيين المحترمين ــ وهو عماء مزغوب ــ يحل محله شعور بالكراهية، فالمجتمع عفن حتى النخاع .

وجيد يتقبل وصف نقاده لعمله على انه عمل من أعمال التفكك : ولكنه يشير الى أن ما يتحلل ليس سوى « مركب واقعي ، حطام من الاخلاق المنحطة والاحكام المبتسرة »(٦) .

ومع هذا اذا كان جيد قد استمد قوة معينة من زوال الوهم هذا فانه قد فقد ما كان حتى ذياك الوقت أكبر الهام له ككاتب . وحالة الحوار التي لازمت ابداعاته العظيمة لم تعد تلقائية وحيوية . والمحاولة المبذولة لانعاش التوتر الجدلي في « اللا أخلاقي » و « الباب الضيق » عن طريق شخصيتي جنيفييف وروبرت توضح هذا بجلاء شديد .

وفي الحقيقة لم ينتج جيد بعد رواية « مزيفو النقود» ــ بالرغم من أنه عاش وكتب لاكثر من ثلاثين سنة أخرى ــ شيئا يرقى كأدب خلاق لرواية « مزيفو النقود » والاعمال التي سبقتها . ومذكرات رحلاته في أفريقيا الاستوائية الفرنسية ــ « الى الكونغو » (١٩٢٧) ، « جولة في تشاد» (١٩٢٨) ــ هي روائع كسرد صحفي ، وهي لها تأثير عميق

---

(٦) رسالة الى روفير ص ٥٥٨ ــ ٥٥٩ .

على قرائها الاولين ، غير انها ليست في جوهرها أعمالا فنية وقيمتها محلية مرتبطة بوقتها أكثر من اعمال جيد الكبرى.

والشيء نفسه يصدق على بعض مقالات جيد النقدية العديدة . وبالرغم من ان الكتب : « ذرائع » (١٩٠٣) و « ذرائع جديدة » و « حادثات » (١٩٢٤) تحتوي على قدر كبير مما له قيمة دائمة ، وبالرغم من أن كتاباته عن « شوبان » (١٩٤٨) أو « بوزان » (١٩٤٥) قد نالت تعليقات حارة من الاخصائيين والناس العاديين على السواء، فقد كان علينا أن ننتظر حتى ينشر « تيسيوس » عام ١٩٤٦ حتى نجد انجازا مقنعا حقا بالمعنى الخلاق المحض .

ومع هذا ربما كان هناك عمل واحد في كل انتاج جيد قد حقق عملا مخدرا : « روبرت أو المصلحة العامة » (١٩٢٩) بمنتهى الصراحة يمكن القول أن جيد عندما كتب هذه الدراما المبهرجة عن المسغبة الصناعية لم يكن في وعيه بالمعنى الحرفي . لقد استسلمت هذه النفس في سنوات قليلة من حياة طويلة الامد لداع غير داعي الادب .

الفصل الثامن

جيد والشيوعية

لم يلتحق جيد اطلاقا بالحزب الشيوعي . وهو بالمعنى الضيق السائد الآن عن هذه الكلمة لم يكن في الحقيقة شيوعيا على الاطلاق . ولكن هناك مقتطفات من مذكراته التي نشرها عام ١٩٣١ و ١٩٣٢ ترقى مع هذا الى اعتناق عام لقضية الشيوعية واعلان التضامن مع الاتحاد السوفييتي .

« انني أريد أن أصرح علانية بتعاطفي مع الروس» (١)
« ان كل قلبي يصفق لهم » (٢) .

« انني أريد أن أكرس حياتي لكي أؤكد نجاح الاتحاد السوفييتي ، وانني اعطيه تأييدي » (٣) .

من الحق انه كان على جيد أن يضع عقبات كبيرة على طريق الشيوعية ومن هذه العقبات نجد عقبة اساسية هي

---

(١) المذكرات ص ١٠٦٦ .

(٢) المذكرات ص ١٠٤٤ .

(٣) المذكرات ص ١١٢٦ .

بلا شك نقص الحس التاريخي الذي يرجعه جيد الى تاثير مالا رميه والجماليات الرمزية (٤) عليه كما عبر عن هـذا في خطاب الى شلومبرجر الذي أعرب عن دهشته «لانقلاب» جيد الفجائي . فالرمزيون الذين أحاطوا مالا رميه لم يكن لديهم الا احتقار لكل ما ليس « مطلقا » وما يمت الى التاريخ والى الواقع اليومي لعالم متغير ليس لـه مكان في العالـم الصافي عالم الفن . وهذه النزعة فهم منها انها رد فعل عنيف ضد النزعة الطبيعية في الفن : لكنها تستبعد بطبيعة الحال كل المسائل الاجتماعية من اهتمامات الفنان والتي كان ينظر اليها على أنها مجرد « أمور عارضة » .

وبعد اربعين عاما شعر جيد بأنه يدفع غاليا مقـابل مثل هذا الاستبعاد (٥) وخاصة وان سمعة هواية الفن التي احرزها نتيجة قناعاته الشابة تعوقه في أوجه نشاطاته الحالية بأن يكون لها ايحاءات أو مدلولات معادية ممكنة لم يأخذهـا أخذا جادا تماما (٦) .

ومن المؤكد الآن أن الدوافع العفوية للايام الخوالى قد اكتسبت لاول مرة معنى واضحا متعلقا بالفرض والاتجاه :

---

(٤) وان كان يتحدث في موضع آخر انه معاد للطبيعة التاريخية انظر : المذكرات ص ١٢١٨ ، ١٢٣٧ .

(٥) المذكرات ص ١٢٣٧ .

(٦) انظر رسالة الى جان جيونو في الادب الملتزم ص ١٣ — ١٤ .

غير أن الاتجاه نفسه ليس جديدا . وقد اعترض جيد على وصف اعتناقه للشيوعية بأنه « انقلاب » ، بأن افكاره ومشاعره كانت دائما تقدمية ــ بل حتى ثورية ــ وهي لا تزال كذلك : ولكن بينما كان في الماضي يتخبط نحو الأمام بطريقة غير بصيرة « ... فانني في الوقت الراهن أتقدم ولدي اتجاه نحو شيء ما » (٧) .

وقد أعقب هذا النص تنصل من أي التزام سياسي ورفض الانضمام الى أي حزب : ولكن دلالة ما يسجله هنا لا يحسب ضده . وظروف البشرية في العالم لم تعد تظهر هنا الآن مسألة من مسائل الفائدة الخلقية فحسب أو في الحقيقة مسألة من مسائل الفائدة المحلية بل كقضية سياسية، وبعد أيام قليلة سلم بهذا . انه يعترف الآن بأن آراءه (قد) تغيرت . وبينما شعر دائما حتى هذه اللحظة ان المشكلة الخلقية اكثر الحاحا من المشكلة الاجتماعية ، وأن على الانسان أولا أن يغير الانسان قبل أن يستطيع أن يغير المجتمع، فانه يرى الآن ان هذه القضية ليست قضية حقيقية . ان التجدد الخلقي للانسان مهم كما هو الحال دائما ، لكنه يراه الآن كهدف للثورة الاجتماعية لا كوسيلة لها .

ومع هذا مهما كانت مقاصد جيد طيبة ــ كما كان يعرف هو نفسه تماما ــ لم تكن لديه مواهب ممتازة للسياسة . ومن المؤكد أنه لم يكن ولم يزعم ابدا بأنه تلميذ

---

(٧) المذكرات ص ١١٣٢ .

مقتنع بماركس . لقد بذل بعض المحاولات حتى يألف الكتب الكلاسيكية الماركسية : ولكن دون نتيجة كبيرة . وعندما كتب شيوعي تشيكي شاب يهنئه على أنه خص ريكاردو عالم الاقتصاد صفحات كتبها « بروح من الماركسية الخالصة » جاء رد جيد فصيحا :

« هيا ، هذا هو الافضل ! هكذا كان ! ولكني أرجوكم حتى لو كنت ماركسيا ان تتركوني هكذا دون ان اعرف »(٨) .

ان الكتابات النظرية الماركسية لاعلام الماركسيين الكبار لم تلعب الا دورا بسيطا أو لم تلعب دورا على الاطلاق لحمل جيد الى الشيوعية . واذا جاز لنا أن نتحدث بدقة لقلنا ان الشيوعية عند جيد لا تمثل قناعة على الاطلاق ، انها ايمان ، وهذا الدين ليس هو الآخر بالجديد فهو يبدو عند جيد مسطحا وشائعا معا . ومع هذا كانت فكرته جريئة، فكرة أنه سعيد أن يضع هذا الايمان في حماية اسم الشيوعية، ألم يكن لينين نفسه هو الذي تحدث عن « الروح الديمقراطية الثورية للمسيحية البدائية » ؟. (٩)

ولما شعر جيد بيقين من جانب مثل هذه السلطة غير المشكوك فيها شعر بحرية لكي يتوسع ، ويقول ان ما حمله الى الشيوعية ليس ماركس بل الاناجيل :

---

(٨) المذكرات ص ١٢١٣ .

(٩) المذكرات ص ١٢٢٨ .

« انها تعاليم الكنيسة الانجليكية هي التي جعلوها ــ انطلاقا من الغرور ــ تسيطر على كل تكويني وهم الذين القوا في ذهني الشك في قيمتي الحقيقية ، احترام الآخرين، لذاكرتي ، ولقيمتي ، وهم الذين دعموا في نفسي الاحتقار ، النفور (الذي كان دون أي شك فطريٌ فيّ) لكل امتلاك حقيقي ولكل احتكار » (١٠) .

ان ما كان قد فكر فيه لينين لو كان قد وجد نفسه يرعى مثل هذا الاعلان هو الى حد ما قد أوحت به صعوبة واجهها جيد وعزاها فحسب الى سوء الفهم :

« ان الفكرة الوحيدة للدفاع هي أنه يجب الدفاع عن المسيح وجها لوجه مع الرفاق الشيوعيين ، ولكن هذا يبدو لي مستحيلا » (١١) .

ان عدو العمال هو الدين القائم على المؤسسات الكهنوتية بكل أساقفته وعقائده القطعية وتحالفه التقليدي مع السلطة المدنية والثروة . لكن الكنيسة قد خانت المسيح ، المسيح الذي علم ومارس الانسانية والمسغبة والمحبة الغامرة للبشر الآخرين .

لقد أدرك جيد حظه الكبير ــ دون ما راحة بل بشعور

---

(١٠) المذكرات ص ١١٧٦ .

(١١) المذكرات ص ١١٧٨ .

حتى بالاثم (١٢) – وحاول بشدة ان يفهم موقف الثورية البروليتارية الاصيلة . وجاءت خيبة امله من نقص كبير في هذه الثورية بالاهتمام بالمسائل الروحية العميقة التي يملأ بها شخص المسيح الانجليكاني العقل والقلب . لكن الامر مفهوم . فوق كل شيء لا يجب توجيه لوم يمكن أن يستغله أعداء الشيوعية كذريعة لضرب روسيا . ان أعداء الشيوعية دائما يتهمون الشيوعيين باهمال القيم الثقافية والروحية لصالح التعلق التام بالاشياء المادية . وقد اندفع جيد لتلافي هذا الهجوم فاحتج مرارا ضد جوره . وقد أصر على أن الاتحاد السوفييتي لا يهمل الجوانب الثقافية او الروحية للحياة الانسانية ، ولكن في الظروف الراهنة من الطبيعي أن يعني نفسه بالمشكلات المادية (أولا) .

وعلى اية حال كثيرا ما أدلى جيد بهذه النظرة حتى أن الانسان لا يملك الا أن يشعر بأن هناك قلقا ما وراء العدوان وحاجة الى التأكيد لنفسه اذا اقتضى الامر .

ولقد كانت حساسيته بالنسبة لنقد الاتحاد السوفييتي مرضية . وخلال سعيه لتدعيم قناعاته او كبت اعتراضاته ارتد الى مجادلات أصبحت مألوفة منذ ذياك الوقت . هل يتخيل أعداء الشيوعية أنهم بوصم الاتحاد السوفييتي سينجون في تعليل بشاعة مجتمعات أوربا الغربية ؟ ثم جاء

---

(١٢) المذكرات ص ١١٨٩ .

النداء الشهير للمستقبل : بطبيعة الحال ليس كل شيء على
ما يرام في الاتحاد السوفييتي (الآن) : لكن الاتحاد
السوفييتي ـ على عكس الديمقراطيات الغربية ـ هو على
الاقل على الدرب الصحيح ويتحرك نحو الهدف الصحيح.
بدلا من التنديد باشكال النقص فيه يفضل بنا أن نساعده
لى تحقيق اهدافه ، ومن العبث أن نعرض ذلك الهدف على
نه قاصر على تحسين الظروف المادية للوجود . ومما لا شك
يه ان الكفاح المادي هو العامل المحدد في السياسةالشيوعية
، هذه المرحلة ، لكن هذه ليست سوى حقبة مؤقتة أما
لذي يهم فهو الهدف .

ان تمسك جيد بالشيوعية كثيرا ما يفسر بحاجته الى
، يدور حول محور « قضية » ما . وحدث مقارنة هذا
بتقاربه) المتلاشي السابق من (العمل الفرنسي) . وفي
حقيقة ليست هناك الا رابطة واهنة بين الحالتين فان
تناق جيد العاطفي للقضية الشيوعية يرجع الى سوء
م ـ كان أكثر معقولية منذ ثلاثين عاما عما هو اليوم ـ
بث به يائسا وبشكل مرضي الى ان لم يعد قادرا على ان
لدع نفسه : على الاقل في مسألة الاهداف ـ لابد أن
سألة بدت لجيد ـ انه لم ينضم الى الشيوعيين بأكثر مما
ضم الشيوعيون (له) !

لم يكن اسم لينين أو ستالين معروفا خارج أرشيفات
وليس السري للقيصر ، والثورة البلشفية ثورة أكتوبر

وسط سحب المستقبل تبدو بعيدة ، حتى أنها لم تكن تعدو أن تكون أكثر الاحلام ضبابية في عقل قلة من المتعصبين ، عندما وضع جيد على لسان ميشيل اعترافا بالايمان لم يستطع اطلاقا فيما بعد أن يتنصل منه . ولقد سبق لنا أن أشرنا الى هذا الاعتراف بالايمان في سياق خاص : لكن دلالته ليست قاصرة على سياق واحد وليست محتوياته قاصرة على مقال مفرد . لم يكن الامر جديدا تماما في عمل جيد ــ حتى حينذاك : ولكننا نستطيع ــ من أجل الاقتناع ــ تصويره من فصل قصير في « اللا أخلاقي » .

فلنتناول أولا النقاط الواضحة . هناك الرعب المتزايد من كل نوع من انواع الترف بل وحتى الراحة التي شعر بها جيد دائما ، وان كانت تستمد معنى جديدا أو تزيد من الكثافة من الوجود المرتبط بسياق اقتصادي واجتماعي . وهناك الاريحية التي لا تلقى ترحيبا كبيرا من جانب الحنو المسيحي ، وقد أحيطت بشعور بالخجل بسبب الجور الذي يعطيه (ومن يشبهه) شعورا بأنه زائد عن الحاجة بينما يدور الآخرون حولها . ان شعوره بالاثم الشخصي هو الذي يعطي مسحة لاعلانه :

« لقد أردت أن أخترق الحائط واترك الزوار يتزايدون » (١٣) .

---

(١٣) اللا اخلاقي ص ١٥٨ .

مثل هذه النصوص في حد ذاتها وان كانت جزءا حقيقيا من جيـد ليست مصطبغة بطبيعته (بصفة خاصة) انهـا نصوص مفعمة بالانسانية ومشربة بحس أصيل بالاثم الطبقي، لا الثوري .

وربمـا كان الاقرب الى ماركس اشـارة جيـد الى (اغتراب) البروليتاريا عن الجزاء الانساني لاعمالها . ان الاثر المشلوح من الانسانية الخاص بالعمل وقد اخذ بـدون فهم وبدون تحمس ولا يكون الا من اجل ضمان البقاء المادي، هو أطروحة من الاطروحات الرئيسية في النظرية الماركسيـة، ويردد جيد كلام ماركس عندما يقول : « ان العمل كله الذي لا يكون لعبا أمر يدعو للرثاء »(١٤) .

لكن النغمة الجيدية البارزة تتضح في كمالة هذه الفقرة:

« لقد كنت أحلم لكل واحد بهذا الفراغ الذي بدونـه لا يمكـن أن يتفتح أي شيء جديـد أو حتى أي شيء سيء واي فن.» أو في الصيحة الكبرى :

« ماذا يستطيع أن يقدر عليه الانسان ثانية ؟ » (١٥).

وبعد انقضاء نصف عمره لم يتغير شيء : ولكن الآن، والرغبة تلهم الفكرة ، يصف جيد أهدافه نحو الشيوعية.

---

(١٤) المرجع السابق .

(١٥) المرجع السابق ص ١٤٨ .

- ما هي الاهداف الاخرى تلك التي لا تكون مأساويا غير جديرة بالتكريس الذي بعثته والتضحيات التي يدعو اليها ؟

ان جيد بعد انقلابه الى الشيوعية يندد بجور موقفه كما فعل منذ ثلاثين عاما سابقة ، والآن كما كان آنذاك يتعاطف مع التعاسة المادية للفقراء : ولكن ما يهمه ليس مغبتهم المادية أو لا وأخيرا . وبطبيعة الحال مما يبعث على الدهشة أن صوت الفقراء يجب ان ينجح أخيرا في أن يجعل نفسه صوتا قويا . لكن المسغبة ليس لها مطلب استثنائي منا . بطبيعة الحال يجب أن يتخفف الانسان من المسغبة « مثل نبات يجب علينا أولا ريه (١٦) لكي يتاح له ان يزهر » لكن جيد مهتم بالازدهار نفسه .

وهذا بالنسبة له هو معنى التجربة الشيوعية . ان هدف ومصير الاتحاد السوفييتي هما أن يحدث « ذلك الازدهار الذي يبدو لي أحيانا (السببالكافي)للانسانية»(١٧)

ان جيد وقد أقام حسب قناعته مجموعة الاهداف بين الشيوعيين ونفسه ، يشعر بأنه قادر بصفة خاصة ــ وهو يقدر جهود الشيوعيين في الاتحاد السوفييتي وغيره ــ أن يلح على المكان الحق . وبالرغم من أن المشكلات المادية قد تزعم أن لها الاولوية مؤقتا فان الاتحاد السوفييتي يعيش

---

(١٦) المذكرات ص ١٢٣٣ .

(١٧) المذكرات ص ١١٣٩ .

اساسا لكي يرعى « هذا الانسان الجديد » الذي يستطيع ان يكتسب « روحا جديدة » (١٨) .

وكما انه من سوء الفهم ـ أو سوء العرض ـ بالنسبة للاتحاد السوفييتي اتهامه بوضع الاولية لا الافضلية على الاشياء المادية فان من الخطأ أو الزيف أن نرى في الشيوعية التضحية بالفرد لصالح المجموع . وطالما انه قد سمح لجيد ان يصوغ فروضه وتعريف (الفردية) و (الشيوعية) بما يلائم أغراضه بتلك الحالة من الاستقلال التي تقوم على الجهل بالحقائق ، فانه يكون قادرا على الرد على اعتراضاته وعلى قناعته . يقول جيد ان الذين يفشلون في فهم الامور هم أولئك الذين يرون تنافرا بين الفردية والشيوعية .

« اذا لم اشعر بتناقضات بين الموقف الشيوعي والموقف الفردي ، اليس في ذلك دليل على ان هذا التناقض مازال نظريا ووهميا »؟ (١٩)

وهكذا هل هناك على الاقل تناقض (نظري) ؟ لا يهم الامر . ان جيد ينحي هذا جانبا . انه لا (يشعر) بأي تناقض ، والشعور أساس أفضل للعمل من استجداء المنطق . ومن الصعب بالنسبة لجيد في اطار العقل هذا ، أن يفهم كيف يمكن لاي انسان ان يعتقد ان مبادىء الشيوعية

---

(١٨) الادب الملتزم ص ٦٠ ـ ٦١ .

(١٩) الادب الملتزم ص ٧٢ .

من جهة ، ومبادىء النزعةالفردية من جهة أخرى، متطاحنة. وحتى على مستوى المصلحة الذاتية هذه المبادىء لا تتصارع. يقول جيد انه ليس من صالح الجماهير البحث عن نزع الصفة الفردية Désin dividualiser عن الفرد (٢٠) ، ولكن ليس دفاعا عن مصالح الجماهير كجماهير ما تدفعه اليه كل غريزة من غرائزه . وكما أن الغاية الحقيقية للثورة المادية هو انتاج الثقافة أو الحضارة الاصيلة ، فان الغاية الحقيقية للثقافة أو الحضارة الجماهيرية (بأوسع ما في المصطلح من معنى) هو انتاج الافراد الاصلاء . (٢١)

وطالما ظل تعلق جيد بالشيوعية فان هذا الانفراق أو التناقض الظاهري كان مسألة حياة وموت بالنسبة له. وهو يردد هذا دون كلل كما لو كان يريد أن يقنع نفسه :

« انني افضل ان أظل فردانيا حتى الاعماق ولا أقبل أن أكون شيوعيا بمساعدة الشيوعية نفسها » (٢٢) .

ولقد ذهب ــ حتى في سياقات بعيدة للغاية عن المجادلات السياسية ــ الى أن الانسان عندما يكون فرديا يفيد أكثر في خدمة المصلحة العامة . والآن لم يكن عليه الا أن يضيف:

---

(٢٠) المذكرات ص ١٢٣٢ .

(٢١) المذكرات ص ١١٣٥ .

(٢٢) الادب الملتزم ص ٨٥ .

في المجتمع الشيوعي تستطيع فردية كل عضو في المجتمع ان تحصل على تطورها الكامل .

فاذا جرى اقرار هذا الانفراق أو التناقض الظاهري فانه لا يوجد سبب يدفع الشيوعي المخلص أن يرتعد من النتائج المحتمة . لقد احتضنهم جيد بحماس : كل الناس افراد ، لكن بعضهم أكثر فردية من الآخرين ، وهؤلاء الافراد هم الذين سيفضلهم المجتمع الشيوعي بصفة خاصة .

ومن الحق أن شعار المجتمع السوفييتي يقال انه يدعو الى : « لا أبطال ! » ، ولكن « لا أقبل ابدا ما يفرض علي مما يفصلني عنهم » .

ولكن جيد يفضل أن يعتقد أنه لا بد وأن هناك سوء فهم (٢٣) . (يجب) أن يكون هناك سوء تفاهم ما ! أن الشيوعية (تحتاج) الى تفضيل الفرد الموهوب اذا لم يكن « الوصول الى شجب كل ما نعيش له » (٢٤) . هذه الاحتجاجات ذات أهمية حيوية قصوى : هذا الايمان بالادراك ، تقدم الفرد هو شرط ضروري بالنسبة لتعلق جيد بالشيوعية التي لن تظل حية بعد خسرانها لهذا الشرط . وهو في شغفه لكي يقتنع يتقبل دون نقد خطبة ستالين يوم ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٣١ (حيث يناقش ستالين مسألة

---

(٢٣) المذكرات ص ١١٠٩ .

(٢٤) المذكرات ص ١١١٦ .

الامتياز في المجتمع الشيوعي) (٢٥) وهو يزعم أن هذهالخطبة ترد على شكوكه بشكل « يدعو الى الاعجاب » (٢٦) ..

وعلى أيـة حال ان الزعم بان الانسان يتلقى يقينا هو اعتراف بان الانسـان محتاج لاعادة اليقين . ففي غمار فتـرة تحالفه مع الشيوعيين تتردد في كل كتاباته نغمة سائدة من الشك والقلق بل واليأس ، ويظهر هذا بصفة خاصة للقارىء الذي يستطيع بشكل ما أن يقرأ ما بين السطور .

فبعـد أن يندد بمساوىء وأشكال جور المجتمـع الراسمالي ــ مثلا ــ يكاد يبدو وكأنـه يدافع عن الاقـرار بالرغبة في تحطيم ذلـك المجتمع . وجيد لن يستمع الـى الاعتراض القائل بأنه بالرغم من أن المجتمع الراسمالي قـد يستحق التدمير ، فان طريق الشيوعية قد يفضي الىمجتمع تكون الرغبة فيه أقل . انه يحتج :

« انني لم أتوصل الى الاقتناع بأن السوفييت (يجب عليهم وبالضرورة) الوصول الى شجب كل شيء ولهذا فنحن نعيش » (٢٧) .

هذا النص مقصود به أن يكون تعبيرا عن الثقة : لكنه

---

(٢٥) البراندا ، تموز (يوليو) ١٩٣١ .

(٢٦) المذكرات ص ١١٠٩ .

(٢٧) المذكرات ص ١١١٦ (ما بين الاقواس مني أنا ــ المؤلف) .

وهو على هذا النحو لا يكاد يحمل طابع الاقناع ودعك من التوهج والصفاء . والقلق المتسلل الذي يكشف نفسه هنا وفي نصوص أخرى عديدة يصبح بين الحين والآخر اكثر شدة وكربا .

ولقد أعاره أحد أصدقائه ـ وهو بيير نافيل ـ عددا من البيانات التروتسكية ، ولقد اهتز لما قرأه فيها . ومرة أخرى يبدو أن ما ينقصه هو الجدل الشعبي ، فلا شيء يمكن ان يكون اسوأ من انشقاق في صفوف الحزب . كان هذا في عام ١٩٣٢ ولكن في خريف عام ١٩٣٦ ـ وكان هذا لا يزال قبل رحلته الى روسيا ـ امتلأ جيد بالشكوك فمحاكمات الخيانة في موسكو التي قرأ عنها انباء كاملة في « صحيفة موسكو » ملأته بالفزع وبقلق لا يمكن التعبير عنه . ويستطيع الانسان أن يلخص كل هذا الحشد من الاعترافات .

« الاحتفاء بالنظام والرجل لانهما منعا الاشياء التي كانا سيخاطران بحياتهما من أجلها » (٢٨) .

ولو كانت هواجسه اقل دقة فان الهواجس الاخرى اكثر تأثيرا . وحتى يلاحظ مستحسنا الصفة الدينية في الايمان الشيوعي يجد نفسه مرغما على اتخاذ تحفظات معينة فالدين يتضمن كهنوتا ونصوصا مقدسة قد لا يجري تساؤل حول قوتها ولا تتعرض للنقد اي من هذه الامور التي ظلت

---

(٢٨) المذكرات ص ١٢٥٥ .

طوال حياة جيد تملؤه اشمئزازا واستهجانا . ولا يكفي مجرد الاحتجاج واعلان شك الانسان في وجه كل الكهنوت والمسألة لا يجب الزوغان منها . ولما كان جيد محصورا بين قرني احراجه فاننا نتبين أكثر حقيقة المسألة بالنسبة له :

« انني افهم من ذلك مدى الاحتياج الى استدعاءسلطة وتجميع حشد من حولها . ولكني هنا أترك المسألة أو على الاقل أفعل هذا لو بقيت معهم ، لان قلبي وعقلي هما اللذان نصحاني بذلك ، وليس لانني أرى الاوامر (مكتوبة) . وانني افهم مما تبقى الرغبة لتوحيد الفكر الذي يراود هتلر اليوم وتقليد موسوليني ولكنه الفكر الذي لايمكن الحصول عليه الا عن طريق الارهاب ، وهو ناتج عن ضعف في الذاكرة . ان القيمة الخاصة والفردية تخضع للقيمة الجمعية وبدونها لا تملك اية قيمة » (٢٩) .

ان الامر كما لو كان بطولة « قيمة فردية خاصة » (ضد) « لست أعرف أية قيمة كلية » قائمة في مجرد الخضوع للكهنوت هي التي دفعت جيد الى تعضيد الشيوعية! ولقد تمسك يائسا بمحاولاته أن يرى المجتمع السوفييتي في ذلك الاطار . لقد أخبرنا ــ لقد أخبرهم (هم) ــ اية امكانيات عجيبة قائمة امام الكتاب السوفييت في الحاضر والمستقبل . وكم يكون اليقين جميلا أن نرى مزيدا من العلاقات الدالة

---

(٢٩) المذكرات ص ١١٨٢ .

على أن هذه الامكانات تتحقق او سوف تتحقق ! ولقد التهم المنشورات السوفيتية المعاصرة وكله أمل : ولكن بالرغم من انه قال أن بعضهـا يدعو الى الاعجاب » (وهو لم يحـدد ما هي المنشورات المقصودة) ، اضطر أن يعترف بانه لـم ير حتى الآن عملا يتجسد فيه « الانسان الجديد » ، انسان السوفييت « الذي ننتظره » (٣٠) ، وبينما نحن منتظـرون يتولانا العجب . فهل من الممكن أن « الانسان الجديد» انسان المجتمع السوفييتي والادب السوفييتي يمكن أن يبرهن على انه سراب ؟ هل تعاسة ضحايا الراسمالية الروسية التعسة هي التي تجعلهم مهمين ؟ هل من الممكن وقد أتيحت لهم الآن فرصة الكلام بالنسبة للفقراء والمسحوقين ان ليس أمامهـم ما يقولونه ؟

« وطالما أن النبات لم ينبت بعد فانه لا يمكننا أن نأمل في أن يأتي الازدهار جيـدا . وياللاوهام العديدة التي تحيط بكل هذه المسألة ! يالها من مرارة عندما لا نستطيع أن نضع احتقارنا الا على حساب الحشود ! » (٣١) .

هذه الهواجس تحيي من جديد مشكلة اعتقد جيـد ــ على الاقل مؤقتا ــ أنه حلها . ان الهدف الاقصى لمساعي جيد منذ البداية حتى النهاية هو تحرير البشرية من القيود

(٣٠) المذكرات ص ٩٤ .

(٣١) المذكرات ص ١٢٣٤ .

المصطنعة وتنمية جميع الثروات الكامنة في الانسانية ، ويمكن التعبير عن هذا بانه محاولة لخلق نمط من البشر أكثر تقدما . لقد ألقى بغمار نفسه مع الشيوعيين لانه توصل الى نتيجة الا وهي : ان ثورة في بناء المجتمع هي شرط مسبق وليس نتيجة لايجاد مثل هذا النمط من البشر . وطالما أنه مقتنع بأن الشيوعية تستهدف الغايات التي ظلت دائما أهدافه ، فانه لا توجد تضحية مهما غلت لا يجب بذلها من أجل صالح الشيوعية .

وكما أنه يرى انشغال الشيوعيين بالمشكلات المادية كمرحلة مؤقتة على طريق المسائل الروحية الكبرى ، رأى في حياته انشغالا بالمسائل السياسية والاجتماعية كشيء منفصل عما هو أهم شيء بالنسبة له : فنه .

من الحقائق المذهلة والتي تحتاج الى أن نزنها بعناية في الحقيقة أن جيد ــ حتى في ذروة تحمسه للشيوعية ــ لم يعتقد اطلاقا ــ في حالته على الاقل ــ أن المسألتين يمكن التوفيق بينهما ، فعنده ان الالتفات الى السياسة يعني التخلي عن الادب . وطالما أن ايمانه بالقضية السياسية التي اعتنقها متقد وكامل ، فانه لم يتردد في اتخاذ هذه التضحية:

« ان الفن والادب ليسا الا من نتاج المسائل الاجتماعية، ولا يستطيعان ، اذا ما عرضا أنفسهما للخطر ، الا أن يضلا، وانني مقتنع بذلك تقريبا . ولهذا السبب تجدني صامتا

منذ ان بدأت هذه الاسئلة تحتل مكانها في مخيلتي » (٣٢) .

وفي عام ١٩٣٦ قام جيد بزيارته الشهيرة للاتحاد السوفييتي . وما رآه كان كافيا لاقناعه أنه كان يعيش وهما كبيرا من صنعه هو الى حد كبير . وعند عودته كتب « جولة في الاتحاد السوفييتي » وهو كتاب يحدد تحلله من المضاهرة مع الشيوعيين ، وأصبح الكتاب لاكثر من جيل من المتعاطفين الشيوعيين الكتاب الكلاسيكي لزوال الوهم . وعلى اية حال، بدأ الوهم — كما رأينا — يتبدد قبل أن يغادر جيد باريس بفترة طويلة . وما حققته الرحلة الى روسيا هو أساسا تدعيم المخاوف القائمة وتطهير ما كان منذ البداية حتى النهاية سوء فهم مرضيا تطهيرا نهائيا .

ولم يتخل جيد عن أي من مثله الثورية ، غير أنه لم يعد ثانية اطلاقا الى السياسة .

والاهتمامات الاخرى اصبحت ضاغطة ، لقد كان العالم يتحرك حثيثا نحو الحرب . وكان جيد يقترب من نهاية حقبة استمرت ثلاث عشرة سنة ، وكانت هناك بعض الاشياء التي لا تزال تحتاج الى أن تقال .

---

(٣٢) المذكرات ١١٤٩ .

الفصل التاسع

الكتابات الشخصية

كتب روسو في بداية كتابه « اعترافات » : « انني مقدم على مشروع تصوره لا سابقة له وتنفيذه لن يجد له نظيرا . انني اعتزم أن أري رفاقي من البشر انسانا وسط صدق الطبيعة ، وهذا الانسان سيكون شخصي أنا » (١)

ويستحيل الا نتذكر هذه الكلمات ونحن نتأمل في عدد وطبيعة أشكال الثقة التي كان جيد يمنحها للجمهور طوال حياته ولو حتى من وراء القبر ان جاز لنا مثل هذا القول.

ومن الحق ان احدى كتابات جيد كان المقصود بها في المقام الاكبر ان تكون اعتذارا علـى غرار جان جاك روسو : وهي الشذرة من سيرته الذاتيـة بعنوان : « لو لم تمت البذرة » والتي نشرت عام ١٩٢٦ مع كتاب كوريدون » . هنا نجد أن وشائج القربى مع روسو كبيرة جدا . ونحـن نجد في كلا الكتابين المزاعم نفسها عن الاخلاص والانكشافات

---

(١) المؤلفات الكاملة ، المجلد الاول ص ٥ .

« الفاضحة » نفسها منذ البداية والتي تكاد تعرض كدليل على حسن الطوية . وهناك ايضا التحمس الشديد من جانب المؤلف أن يخل من نفسه على حساب كرامته الشخصية ، ونجد الزهو المتسلل نفسه ... والمهارة الفنية نفسها .

ان جيد شأنه في هذا شأن روسو يحتج على صراحته: « ان روايتي ليس لها الحق الا أن تكون صادقة » (٢) .

غير أن الحقيقة لن تكون في اقصاها سوى حقيقة (منتقاة) : ولا يمكن ان تكون على نحو آخر . وأن انتقاء المادة لن يكون دائما في صالح المصارحة المكنة الكاملة .

« انني ألغي ذكرياتي ، هذا الجانب الاولي دفعة واحدة، كل التأملات والاعتبارات حتى اكتسب سمعة (المفكر) . وهي لا تحل محلها ، وهذا هو في رأيي داعية الفن » (٣).

لقد افضت عبقرية جيد بالنسبة للتناقض الجدلي ، مباشرة الى المسألة الحاسمة : يجب أن ترضي ذكرياته معيارين : يجب أن ترضي مطالب الحقيقة دون اهمال مطالب الفن .

ومن الحق أنه بالرغم من استعداده الظاهري للقيام بتضحية الفن كما أشرنا ، فانه بالرغم من التأكيد المكتسح من

---

(٢) لو لم تمت البذرة ص ٣٤٩

(٣) المذكرات ص ٦١٧ .

أن كل شيء يتراجع أمام مطالب الفن ، نجد جيد أحيانا يستاء من هذه المطالب ويكاد يعتذر عنها . ويحدث أحيانا وهو يتأمل فيما قد كتب انه تعليق وهو يعتقد أنه في صفحات معينة بأن الاسلوب « يجعلنا نلاحظ كم هو دقيق لكي يكون كاتبا ممتازا رائعا » (٤) . انه يصحح وينقح لا لكي يصقل اسلوبه بل لينقيه عندما يبدو له مفرطا في الوعي ، مفرطا في العناية ، مفرطا في الصياغة الادبية .

وعلى أية حال فان هذه التحفظات لا تتحدد بالمرة بوعي جزئي بالحاجة لقص الحقيقة العارية بشكل قصصي واقعي . بل بالعكس ، ان كتب المذكرات التي كتبها جيد تمتلىء بالتصريحات المماثلة المطبقة بالمثل على اعمالهالروائية . وبسبب الدواعي (الفنية) لا يجب أن يظهر اهتمام المؤلف بالشكل في « لو لم تمت البذرة » :

ان الغريزة التي أفضت بجيد الى أن يطرح ــ باسم الفن ــ عباءة « المفكر » لهي غريزة قوية . ان اهتمام المفكر ــ كمفكر ــ لا صلة له كثيرا بالحقيقة بقدر ما أن له صلة (باكتشاف) الحقيقة . وحتى حيث ينسب الفنان الى الحقيقة الاهمية نفسها كما يفعل المفكر فان عنايته (هو) كفنان هي مع (عرض) الحقيقة . لقد سبق لبوالو أنرأى منذ أكثر من قرنين ونصف قرن أن هذه التفرقة تواجهالفنان

---

(٤) المذكرات ص ٦٣٢ .

بمأزق (٥) ، ولقد طرح جيد هذا المأزق في حدوده هو . ان مشكلة (التعبير) عن الحقيقة ــ التي هي مشكلة الفنان ــ هي مشكلة (الاخلاص) ، وعلامات النصوص المتناثرة خلال عمل جيد تبرز الاهمية التي يعزوها جيد لها .

ان مذكراته بصفة خاصة لا يمكن أن تكتب بمعزل عن حالة كتابتها . ومهما يكن ما هو مميز أو جديد في شخصية من الشخصيات لا يمكن ابرازه الا بأسلوب التمايز والجدة المقارنتين . ان الاستسلام للتقليدي والمبتذل الشائع في الكتابة ، هو استسلام للاصالة ، وهذا يقتضي في الكتابة جهدا كبيرا من المهارة حتى يصبح الانسان نفسه . ان نوع الجملة التي نميز بها على التو كاتبا معينا يجب ان تكون ــ كما يقول جيد ــ صلبة للسيطرة « كبنيان أوليس » (٦) .

اذن فان كتاب « لو لم تمت البذرة » هو عمل فني على شكل اعتراف بقدر ما هو اعتراف على شكل عمل فني . والنماذج والنسب في « لو لم تمت البذرة » تمتاز بالوضوح والتوازن مما ليس واضحا على سطح الحياة ، ولكنه مما قد يكون أقل تضليلا عن المظاهر المصطنعة التي تبرزها .

وهكذا نجد أن الاختلافات في الاصول الجغرافيةلوالديه ــ فقد انحدرت أسرة والدته من نورماندي وانحدرت أسرة

---

(٥) فن الشعر .

(٦) مذكرات دون تاريخ ص ٥٧ .

والده من سيفن ــ تحظى بأهمية ما كان يمكن أن تحظاهـا في حد ذاتها . وبعد أن يبنى جيد سلسلة ذات تأثير مـن التناقضات بين الخلفية الفنيـة النورماندية لاسرة أمـه والصرامة الخاصة بسيفين البروتستنتانية التي انحدرتمنها اسرة والده ، يوحي لنا بأن ذلك الصراع بين هذه التأثيرات المتناقضة هي المصدر الاكبر لعمله كفنان . ولا يهم أن هذه النظرية ــ بعملية قط بسيطة ــ يمكن أن ترتـد الى العبث بشكل سريع ، فان مايهم هو اقتناع جيد انه بأيـة حال في مسألته ، يمكن فحسب للعمل الفني أن يرتفـع على القوى المتصارعـة داخله الى مستوى التناقض الجـدلي ومن ثم يشكل وحدة . ان حدود الجغرافيا والبيولوجيا التي يجري التعبير فيها عن هذه البصيرة ــ ربما تحت تأثير « تين » أو لمجرد معارضة « باريس » ــ هي اكثر من مجرد اقتناع .

أن الاوصاف الطويلة لتتبعاته العلميـة ، وموضوعات ابحاثه لا يمكن أن تكون أقل عرضية ، ونحن نتذكر أن الذي كتبهـا هو مؤلف « كوريدون » . وان الوقت الذي خصصه لدراساته للبيانو يصبح مفهوما أكثر عندما نتذكر الاستخدام الذي وضع له حسابا مماثلا في مذكرات اليسا ، أو أنه قـد استمر شخصية أحد مدرسيه مباشرة من الحياة ونقلهـا في صفحات « مزيفو النقود » .

ان انتقاء المادة وتوزيع التأكيد في « لو لم تمت البذرة» أبعد بكثير أن يكونا قد تما بشكل عفوي ، انهما تابعان لخطة

هي شيء أكثـر من مجرد مزاج فني . ويعبـر جرد جيـد لدراساته الادبية عن شيء هو أكثر من ذلك الذي يسرده . وهكذا نجـد أن الوصف الذي يتكون لدينـا عن دراسته المتحمسة في آن واحد للانجيل والكلاسيات الاغريقية ، انما يمثل شيئا أكثر من مجرد (القراءة) . ان هذا الوصف هو في الواقع قطعة ممتازة من الدفاع ذات تأثير بالغ لاننا ننسى انها قد كتبت بعد حوالي عشرين عاما من الاحداث موضع النظر على يد انسان لا يقل براءة عن الطفل الموصوف .وجيد وهو يروي هذا الفصل من ماضيـه حريص على الا يؤكـد فحسب أنه لا يعرض أيا من هذين الحماسين المتناقضين على حساب الآخر : بل ينال (كلاهما) توهجا فريدا لانـه يشارك (بكليهما) ايمانويل . وهما يقرآن معا التراجيديات اليونانية وهومر (في ترجمة الكونت دي ليل) انما يعيشان ارتباطا لا يتجاوز توهجا وباطنيـة بالارتباط الآخـر الذي يتقاسمانه في عيد الفصح .

وبينما هو يصف عظمة هذه الرقة والاتحاد العـاطفي يبدو الفنان وكأنه يتطلع الى الصيغة السحرية التي ستتجاوز الزمن والتغير لتسترجعه الى الوجود :

« ان معبد قلبنا شبيه بالجوامع التي تقبع ـ من جانب الشرق ـ متثائبة وغارقة في العطور » (٧) .

---

(٧) لو لم تمت البذرة ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .

مثل هذا الوصف ليس وصفا ، انه نداء .

ان كتاب « لو لم تمت البذرة » سواء بوعي أو بدون وعي — ويحتمل انه بوعي — هو دعوى للفهم ، دعوى للمشاركة الوجدانية . والوقت أصبح متأخرا الآن لافساد ما تم . والوقت أصبح متأخرا الآن للحصول على امل بتغير حاسم في طبيعته ، حتى في طريقته في الحياة . ومع هذا يشعر جيد في الساعة الحادية عشرة ، أي قبل فوات الاوان بساعة كاملة ، بأن هذه الاشياء وكل الاشياء انما تشاهد في الضوء والثورة اللازمين ويمكن الا تكون قد ضاعت بعد . ولو كانت الفصاحة تملك أي سلاح لنزع السلاح فمن المؤكد أن القارىء يقترب من الانكشاف الحاسم بشيء من الرغبة في الفهم والتعاطف ، فنجد أن « علي » بوابه الصغير :

« ... لم ينفد صبره منذ فترة طويلة من القيود المعقدة للعلاقات التي تقيده قيد الحزام ، وقد أخرج من جيبه مدية ، ثم شطر — بخبطة واحدة — الحيرة التي تنتابه . وقد وقع رداؤه ، وطرح صداره وانتصب عاريا كالرب . وفي لحظة رفع الى السماء ذراعيه المتجمدتين ثم ، ضاحكا ، ترك نفسه فوقع ازائي . كان جسده على ما أعتقد متوهجا ولكنه بدا لي عندما لمسته أنه رطب أشبه بالظل . كم كان الرمل جميلا ! كم كانت روعة الليل ! واية أشعة تلك التي كانت تغمر فرحتي ! » (٨)

(٨) لو لم تمت البذرة ص ٥٦١ .

وبالمقارنة تبدو المغامرات بحثا عن « الحالة الطبيعية» او الارتباط بهذه الحالة الطبيعية على الاقل غير ذات اهمية! لقد نصحه الدكتور اندريا الذي استشاره بخصوص حالته ان يمضي الشتاء في « لابريفين » وهي قرية صغيرة فيجورا . وحتى تتم أشغال المنزل فان لديه فتـاة سويسرية سمينـة وسوقية يسميها أوجستا ، وهو لا يجعلها فحسب داعـرة بل غير أمينـة ايضا ، ذلك انها وهي تطلعـه علـى صورة لخطيبها ـ الذي تتحدث عنه دائما ـ وخزها بشكل أبلـه بقلمه في عنقها ومن ثم حدثت الكارثة وهي تنهار بين ذراعيه وهو متحير بشكل مخيف :

« وبجهد خارق حملتها الى متكأ ، ولما كانت تتشبث بي فقد كنت أضمها الى صدري وهي بين ساقي المفتوحتين، وعندما خارت عزيمتي صرخت فجأة : (انني أسمع أصواتا) وتظاهرت بالفزع وهربت من بين ذراعيهـا مثـل جوزيف وجريت لاغسل يدي » (٩) .

بالنسبة لايمانويل التي لم يمنعها توهجهـا الديني في محبة الاغريق والاعجاب بهم ، الا يمكن أن تكون قد فهمت شيئا من الجمال الوثني للحادثة التي وقعت في « ساوس»؟ من المؤكد ليس هنـاك أي شيء مشترك بينها وبين شخص أوجستا المصابة بالهجاس . وفي الحقيقة لا (يرقى) «علي»

---

(٩) لو لم تمت البذرة ص ٥٧٨ .

او أوجستا لحبه لابنة عمه. لقدكان هذا حبا روحيا خالصا، نقيا من اية روابط ماديـة منحطة . وعلى أيـة حال ، من الممكن أن يهزه الزواج فيوقظ فيه « الرغبات الطبيعيـة » مهما تكن هذه الرغبات ، ولكن سواء كان الامر هكذا أم لم يكـن :

« اعتقد انني أستطيع أن اعطيها نفسي وقد فعلت ذلك دون أي تحفظ وبعد فترة من ذلك الحين صرنا خطيبين »(١٠)

ونهاية « لو لم تمت البذرة » هي بداية الدراما الكبرى لوجود جيد : قصة زواجه . ولكن عندما كتبت عناصر القصة لـم يكن المقصود بها الجمهور . ويتألف كتاب Et Iunc Manet in te مـن مختـارات مـن « المذكـرات » التي احتفظ بها طوال حياته والتي يرى بعض قراء جيد أعظم صروحـه الهائلة . ولان «المذكرات» لم تكن هناك نية لنشرها في البداية على الاطلاق (بالرغم من أن جيد في اخريات حياته تعود أن ينشر مختارات منها) فانها ظاهرة مختلفة تماما في نوعهـا عن « لو لم تمت البذرة » .

تبدأ الاعترافات التي كتبت على غـرار روسو بثقـة المؤلف في صحة رايه . وهو لن يحكم عليه أو سوف لـن يحكم عليه الا بقدر ما يساء فهمه أو سوف يساء فهمـه . وهو بعرضه للحقيقة ــ التي يعرفها يقينا ــ انما هو علـى

---

(١٠) لو لم تمت البذرة ص ٦١٣ .

ثقة بأنه سوف يبريء نفسه . غير أن نقطـــة الانطلاق في « المذكرات » عكس الثقة تماما ، ان « مذكرات » جيد هي اسقاط للنفس في فعل اكتشاف ذاتها ، ويمكن التعبير عـــن قوتها الدامغة سلبيا كشك أو ايجابيا كفضول وحب استطلاع .

الشك واضح منذ البداية وهو يؤثر في معظم اســـاس التجارب .

« لم يكن لدي فيما يتعلق بي الا (الشعر) (وانا أعطي لهذه الكلمة مدلولها الكبير) . واذا بدات بنفسي فانه يخيـــل الي احيانا انني أتخيل انني أكون . ومن الاشياء التي يصعب علي اعتقادها هي واقعي أنا . انني أهرب دائما ولا أفهم تماما . وعندما أنظر لنفسي وانا أنفعل ارى أن الذي ينفعل هو نفسه الذي ينظر والذي يندهش ويشك في أنه يستطيع أن يكون ممثلا ومتأملا في آن واحد » (١١) . هـــذا النص الخاص مستمد من يوميات ادوارد في « مزيفو النقود » : ولكن ليس هناك شــــك في ان ادوارد هنا انما يتكلم باســـم جيد . و « المذكرات » مليئة بالتعيينات المماثلة ، والتي يمكن تلخيصها في صيحة واحدة :

« من نفسي الى نفسي ، يالها من مسافة ! » (١٢) أن « المذكرات » ضمن أشياء أخرى هي محاولة لاقامة معبـــر

---

(١١) مزيفو النقود ص ١١٠ .

(١٢) المذكرات ص ٣٦٥ .

على هذه الهوة ، انها المرآة التي سوف يبحث جيد فيها عن حقيقته . وفي الحقيقة لا يمكن الفرار منها لانها الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها أن تواجهه الحقيقة الموثوق بها. والى ان يراها منعكسة في يومياته ، فلا شيء يبدو حقيقيا بما فيه الكفاية بالنسبة له لتناوله بجدية .

غير ان المرآة تقوم بشيء أكثر من مجرد نقل الوجود ، انها تشبع الفضول، وهو فضول يتخذ طابعا خاصا من ظرف انه موجه الى نفس الانسان : والنفس (الباطنية) هي موضوع الفضول :

« انه يريد أن يعلن ... ما هو شكل روحه ... آه ! الا يمكن أن يعرف الانسان نفسه ... الا يعرف جماله ! ... في مرآة ! مرآة ! مرآة ! مرآة ! » (١٣)

ومن الحق أن علاقة الصورة التي تعرضها المرآة بأية حقيقة مطلقة هي علاقة غير يقينية الى حد ما ، فالمظاهر خداعة ، فهي قد تكون متناقضة وهي في غالب الاحيان متناقضة حقا (١٤) : ولكن كيف يتأتى لنا أن نتصل بالحقيقة الا عن طريق ما نظهر به وما ندركه ؟ وهذا يطرح المشكلة الهامة ، مشكلة الاولية . هل يجب أن يكون الانسان اولا لكي يبدو أو على الانسان أن يبدو أولا ثم يكون ما يبدو عليه؟

---

(١٣) نرجس ص ٢٠٨ .

(١٤) لو لم تمت البذرة ص ٤٣٢ ، ٣٨٦ ، ٣٦٢ .

ومجرد طرح المسألة بهذه الطريقة انما يوحي بميل الى القضية الثانية ، وهذا الميل هو ميل قوي في الحقيقة لدى جيد .

عندما يكتب كتابا لا يحاول أن ينقل الى صفحات مزاجا داخليا ماثلا من قبل ومكتملا داخله . ان الكتاب هو بالاحرى علة ذلك المزاج بمعنى انه يعطي ما هو واقعة واحدة من وقائع عديدة ، فيعطي « عادة محلية واسما » . الواقعة (منتقاة) بارادة وبشكل مؤقت (الوقائع الاخرى تكتب بشكل مؤقت) لتحقيق أهداف الكتاب ، وطبيعة الكتاب تحدد الشخصية ولا تحدد الشخصية طبيعة الكتاب : « الموضوعي ؟ الموضوعي ؟ هذه الكلمات تفقد هنا معناها ، لانني لو استطعت أن أرسم ما يدور في مخيلتي (واحيانا يبدو لي أنه لا يوجد رسم حقيقي لهذا) فانني أولا أكون قد صرت ذلك الذي أردت أن أرسمه » (١٥) .

لقد أصبح الآن دور « المذكرات » أكثر اتضاحا ونحن نفهم على نحو أفضل السحر الذي مارسته المذكرات على جيد ، فكل تفصيلة تضيفها الى صورة جيد التي ترسمها ستلعب ــ في الواقع ــ دورا مثيرا ملهما بل حتى خلاقا . تلك الصورة سوف تكون عملا فنيا بالمعنى الحرفي . ان الاغراءات عظيمة للغاية وكذلك المسئوليات .

---

(١٥) المذكرات ص ٧٣٧ .

واذا كان هناك شكل محدد للطرح يتعارض بالفعل مع الاخلاص فان الاشكال الاخرى للطرح لها دور ايجابي قيم للعب وتستحق التشجيع عن غيرها . فاذا آمن المرء بانه فاضل وشجاع ـ مثلا ـ فان الانسان يجد نفسه بشكل نادر نتيجة ذلك الاقتناع وهو يتصرف على نحو فاضل أو شجاع. واذا كان هذا مرغوبا فيه أحيانا بهذه الطريقة لاعطاء النفس الثقة بفضائل معينة فان المرغوب فيه أكثر مد هذه الثقة الى فضائل أخرى :

« نظرا لان الثقة التي تمنحها لهذه الفضيلة تدفعهم وتشجعهم للحصول على الشيء الذي لم يحصل عليه من تلقاء نفسه والذي أوصله الى قوته الخاصة . ان بعض الناس يتمسكون بفضيلتهم لكي يتشبثوا برايهم الذييعرفونه او يأملون في أكثر من راي ، انني سوف أصبح ما كنت أعتقده » .(١٦)

لقد كان جيد يقترب من الستين من عمره عندما كتب هذه الكلمات وهو لم يكتبها عفوا . انها كاشفة في الحقيقة بشكل غريب . انها تعرض وتشرح (من وجهة نظر جيد) الدراما المحورية لحياته خيرا من اي نص آخر .

ولقد راينا أن عرض النفس هذا هو في الواقع(مشروع) ونحن باسقاط صورتنا عن انفسنا كمشروع نحب أن نكون

---

(١٦) المذكرات ص ٨٥١ ـ ٨٥٢ .

على غراره نمكن انفسنا ـ في ظروف معينة ـ من التطابق في الواقع مع تلك الصورة . المطلوب هو الايمان : يجب أن يكون لدي ايمان بنفسي والشخص الذي اعرض له الصورة يجب بالمثل أن تكون لديه ثقة بي . ولكن كل شيء ، يجب أن يكون لدي معيار أؤسس بمقتضاه صورة نفسي التي أسقطها كمشروع. وجيد لا يتركنا أبدا حيارى معظم حياته حيث بحث عن ذلك المعيار :

« ... انني لم أكتب سطرا الا اذا كان موحى به الي مباشرة ..» (١٧) . « ان كل اعمالي موجهة اليها ...وكل هذا ليس الا دفاعا طويلا » (١٨) .

وبالرغم من كتاب شلومبرجر الجميل يجب انصاف قصة مادلين وأندريه جيد . فلو كان جيد ـ حسب مزاعم شلومبرجر ـ اقل عدالة لمادلين في كتاباته فان اعتذار شلومبرجر ـ الكريم والراسخ لمادلين ربما لا يكون عادلا بالمرة لجيد . لكن شلومبرجر أكد بحق الحب العظيم (والثابت) الذي يوحد بينهما حتى في لحظات أعظم تعاستهما .

والتعاسة التي سببتها جنسية جيد المثلية لزوجته نادرا ما تقدر حق قدرها ، لكنها ليست أكبر من حبها واعجابها بزوجها . والاحباط الذي شعر به جيد في وجه تنديد مادلين

---

(١٧) مزيفو النقود ص ١٠٨ .

(١٨) المذكرات ، الجزء الثاني ص ١١٥٧

الثابت بكل شيء فيه يبدو لها فاضحا كاد يقوده الى شفا اليأس : لكن حكمها عليه هو الذي يهمه أكثر دائما .

لم يكن استحسان امانويل وحده هو هدف كل مشروع لجيد ، فموافقتها على صورته هي ــ للاسباب التي نحن نطرحها ــ شيء لابد منه بالمعنى الحرفي :

« كان يبدو لي انني عن طريقها انني أحيا وانني أشعر بانني تابع لها » . (١٩)

« انني لا استطيع ان اتصور نفسي بدونها فانه يبدو لي أنه بدونها ليس هناك شيء » (٢٠)

« انني أعتقد انني لا أعيش بدونها » (٢١) « كانت لي بمثابة الحقيقة » (٢٢) .

ونحن الآن في وضع يمكننا من فهم شيء من المسائل الواردة في اهتمام واقع هو ان جيد ظل هدفا لكثير من النقد المعادي .

في عام ١٩١٨ قام جيد برحلة الى انجلترا مع مارك اليجرية الذي كان على على علاقة حب به شديدة . وبعد

---

(١٩) المرجع السابق ص ٣٣٧ .

(٢٠) المرجع السابق ص ١١٥٤ .

(٢١) المرجع السابق ص ١١٥٥ .

(٢٢) المرجع السابق ص ١١٦٤ .

رحيله مباشرة احرقت مادلين كل رسائله . ولقد سجل جيد الحادثة في « مذكراته » على النحو التالي :

« لقد بددت مادلين كل رسائلي . آه ! انني اعلم جيدا كم عانت على اثر رحيلي مع مارك ولكن هل من حقها الانتقام من الماضي ؟ . . . (ان الشيء الافضل في نفسي هو الذي يرتحل) ولا يعاد له الا الشيء الاسوأ . انني أشعر بانهياري دفعة واحدة » (٢٣) .

هذه الصيحة المخيفة ، صيحة الشجن والالم والنقمة فيها شيء أكثر من مجرد التعبير عن الكرامة المجروحة ، فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاطروحات التي نحن نناقشها :

« هل تفهم انها بذلك تذيل المنحنى الوحيد القائم في ذاكرتي ؟ وهل في المستقبل سوف اجد ملاذا ؟ ان كل ما في داخلي من حسن قد منحته لهذه الرسائل » (٢٤) . « انها لم تكن ــ بصريح العبارة ــ رسائل حب ، ولكن حياتي كانت ترتسم امامها أولا بأول ويوما بيوم » (٢٥) .

ان حقيقة شخصية جيد ــ كما رأينا ــ هي بالنسبة له نسبية ، وفي المقام الاخير ما من تجل من تجلياتها يحيط

---

(٢٣) المرجع السابق ١١٤٥ (ما بين القوسين مني أنا) (المؤلف) .

(٢٤) المرجع السابق .

(٢٥) المرجع السابق ص ١١٤٧ .

بها أو يحددها ، حتى أنه عندما تبدو الصور المختلفة للنفس يناقض بعضها بعضا لا يمكن أن يقال عن احداها انها الصورة الحقة وتعد الصور الاخرى بالمقارنة معها زائفة . مثل هـذا المعيار لا يمكن أن يطبق الا لو كان المظهر مقاربا للواقـع . والآن ، اذا كانت الحركة (من) الواقع (نحو) المظهر ممـا ينكره جيد ، فاننا نرى العملية العسكرية هي الحاسمـة . وبدلا من أن تبتعث الحقيقـة المظهر ، نجد المظهـر يبتعث الحقيقة : انني أميل الى أن أصبح ما أقول انا . ان ما يكون عليه مظهري (وما سوف يكون لهذا « في الواقع » حقيقتي) يتوقف على الصورة التي اتبعها . وموضوع السيرة الذاتية (أو المذكرات) يجري (ابداعه) بالطريقة نفسها التي تبدع بها الشخصية في الروايـة . وهو نادرا ما يتجسد في أيـة حقيقة خارج الكلمة المكتوبة .

« انني آخذ في الاعتبار ، كما أتوقع أحيانا انني سأشارك في ذلك الذي (سوف يحدث) ولكن اذا جاز القول يجب علي أن أقر أنني لم أتوصل حقيقة الى تصديق ذلك ، ولو تكلمنا صراحة ، فان ازدواج الشخصية يجعل من نفسي شخصـا يبتغي أن ينظر للشخص الذي يتفاعل وليس على أنه هـو الشخص الذي يتفاعل أو الذي يتألم » (٢٦) .

ومن السهل أن نفهم في ضوء هذا النص البارز انـه

---

(٢٦) المرجع السابق ص ١٢٢٦ - ١٢٢٧ .

حتى (منهج) كاتب الرواية سيستسلم لكاتب اليوميات أو المذكرات أو الاعترافات . وفي الحقيقة لاميزة للاخلاقي . والى المدى الذي يجد نفسه فيه قانعا بحقيقة مفرطة في التبسيط ومضللة ، فانه يضطرب في بحثه عن الحقيقة . انه مواجه بالمشكلة نفسها التي يواجهها الروائي الذي يبحث باخلاص عن تصوير شخص حقيقي (٢٧) . واذا أدرج الحقائق او الوقائع على أساس أنها حقيقية فحسب وليس على أساس انها كاشفة لاغراضه فانه يهدم الانموذج الذي يحاول أن يخلقه . وهذا يزيف بالضرورة صورته ، فالحقيقة كامنة في الانموذج وليس في الوقائع .

لهذا فان التفرقة بين الكتابة القائمة على السيرة الذاتية والروائية تفرقة تعسفية في الممارسة ، فكلاهما يعتمدان على خلق شخصية معبرة محملة برسالة . وهذه الحيلة محورية في فن جيد حتى أنه عندما يبدو أن الآخرين ينكرونها عليه يجد صعوبة في الكتابة أصلا .

وقرب خاتمة رسالته يجد نفسه يتساءل ما اذا كانت الصعوبة التي يعانيها في الكتابة بابداع لا يفسرها انه لم يعد يغذي داخله شخصا وهميا يستطيع ان يقدمه في اطار الرواية ، ومن ثم يجد نفسه يقتصر على التحدث باسمه . وهذه المسألة لافتة للنظر ، وهذا يحول بينه وبين

---

(٢٧) المرجع السابق ص ٥٤٧ .

الكتابة ، ولكن ليس هناك شك بأن الامر على هذا النحو ماثل في ذهن جيد على الاقل . وهو لا يستطيع ان يفكر في وسيلة افضل ـ ولا أية وسيلة اخرى ـ للتغلب على هذه الصعوبة سوى أن يخترع من جديد « بطلا مطلق الصلاحية » يستطيع أن يزوده بالفصاحة التي يبدو انها تنقص خالق هذا البطل ! (٢٨) وحتى رسائله الى مادلين هي عمل فني وسبب يأس جيد عندما أعدمت هذه الرسائل واضح الآن . انمؤلف هذه الرسائل هو نسخة من نفسه يستطيع ايمانه وثقة مادلين أن تبثا فيها الواقع (٢٩) بقدر ما تستطيع أن تستمتع به نسخة أخرى من نفسه . وهي (افضل) النسخ .

وسحب تأييد مادلين لهذه النفس الخاصة هو ضربة مميتة لهذه النفس ، وطالما أن جيد يستمر في التوحيد بين نفسه وبين هذه النفس لا يكون لديه أي شعور طيب بالوجود ، يكون لديه شعور ميت بها . ومنذ وفاتها وهو يتظاهر بأنه حي ويشك بين الحين والحين ما اذا كان حيا حقا (٣٠) ، واذا كان موجودا اذن فان الحياة « على السطح » (٣١) :

(٢٨) المرجع السابق ص ١٠٤٣ .

(٢٩) انظر الفصل الرابع .

(٣٠) المذكرات ص ٨٨٧ .

(٣١) المذكرات ص ١٠٤٤ .

« أجل ، انه لكذلك . انني ميت بالفعل ، والذي أعيشه الآن هو نوع من العيش التكميلي لا أهمية له وهو لا يشجع على شيء » (٣٢) .

ولكن ليس هناك سبب يجعل هذا الكائن غير الملتزم يواصل توحيد نفسه مع النفس التي ماتتمع مادلين . وهناك سبب كاف يجعله لا يفعل .

وسلوك مادلين هو ـ في المقام الاخير ـ نقد ضمني . وهذا الحكم العكسي الخاص عن نفسه يرجع دون شك الى فشل الفهم والتعاطف من جانبها : ولكن الاحكام العكسية الاخرى ضده سائدة ولها تفسيرات أكثر ازعاجا . انه (يساء تقديمه) فلقد ألف أعداؤه وحشا أطلقوا عليه اسمه لكنه عاجز عن أن يجد في نفسه أي اثر من نفس يستطيع أن يرضى باعتناقها . ان جيد ـ لهذا ـ وهو يرفض أن يتبين نفسه في النسخ المختلفة لنفسه التي اقترحها النقاد ، يكرس نفسه لمهمته الاخيرة ـ وهو أهم مشروع لجيد ـ الا وهو أن يحتفظ بنفسه حيا . ولكي يتمكن من أن يفعل هـــذا يجب ان يرد النفس الى الحياة والثقة أو يجب أن يرد الحياة والثقة الى النفس التي يعتبرها انعكاسه الحقيقي . النفس التي يريد أن يكون عليها .

« اضطررت أن أعيد تلقين نفسي الانانية ، واقتنعتبأنه

---

(٣٢) المذكرات ص ٦٩٧ .

بدون انانية لن اتوصل الى نجحي » (٣٣) . وهذا ليس مستحيلا ، وكان عليه أن يبحث عن مرآة أخرى غير عيني ايمانويل . وكانت هناك حاجة الى وضع جديد ، ولكن حياته كلها قد اعتادت أن يضع نفسه في أوضاع ، فقد اعتاد وهو شاب أن يجلس ويكتب أمام مرآة (٣٤) وعندما أصبح مسنا لم يعد نادما .

ليس هناك شك في عودته الى نرجسية شبابه ، لكن كل فصل له سحره ، وهناك جماليات للسن المتقدم أكثر من جماليات لسن الشباب . ليست المسألة مسألة زهو جسماني ، انها مسألة عرض النفس ــ بكل احتراماتها ــ في ضوء جميل قدر بالامكان .

وان اهتمامه بالاناقة ــ لا أناقة الشخص بقدر ما هي أناقة تقديم نفسه للاخرين ــ ينم عن شعور واضح بما يدين به نفسه . ففي الصفحات الاخيرة التي كتبها وجد وقتا للتعليق على الغندرة التي يتهم بها أحيانا .

ولكن هناك سبب عميق آخر يجعل صورة نفسه التي تركها للاجيال لا يجب أن تكون « منفرة للغاية » (٣٥) السبب أنه يريد أن يجعل هذه مثالية :

---

(٣٣) المذكرات ص ٩٢٣ .

(٣٤) المذكرات ص ٢٥٢ .

(٣٥) المذكرات ص ٢١٨ ــ ٢١٩ .

« ليس باعمالــه يستطيع اي انسان محب للبشريــة ان يكون صالحا ولا بضربه المثل ، انني أريد أن اقول بنظرته نفسها ، بالصورة التي يقترحها التي يتركها وبالشيء الذي يسمح له أن يستنشق السعادة والصفاء » (٣٦) .

ان مدى نجاح جيد في أن يخلف وراءه الصورة التــي يريد أن يتركها للاجيال ، مسألة ستظل دائما موضع خلاف. لكن ربما كان أهم صفاتها جملة يمكن وصفها بين قوســين وهي كلمات قليلة يطبقها جيد على نفسه دون شك بشكــل مطلق وحق : « انسان محب للانسانية » .

---

(٣٦) صفحات مجهولة ص ٢٦ .

الفصل العاشر

تعليق ونقـــد

انه فكر رائع بالنسبة لرجل مات عام ١٩٥١ حتى أنه لو لم يظل حيا بعد نشوب الحرب العالمية الاولى لظل كاتبا كبيرا حتى الآن . ونحن نجـد كتبه « مذكرات أندريـه والتر » و « بحث عن نرجس » ، « أشعار أندريه والتر » ، «رحلة الى أوربا » ، « مستنقعات » ، « محاولة حب » ، « المباهج الدنيويـة » ، فيلو كتيت » ، « بروميثوس مقيـدا » ، « الحاج » ، « رسائل الى أنجيل » ، « الملك كنـدول » ، « اللا أخلاقي » ، « ادعاءات » ، ادعـاءات جديـدة » ، « سول » ، « أقيتاس » ، « عودة الابن الضال » ، « الباب الضيق » ، « ايزابيل » ـ كلهـا نشرت حتى عـام ١٩١١ و « كوريدون » و « كهوف الفاتيكان » اللذان كتب جزء منهما قبل عام ١٩١٤ ـ هذا اذا أغضينا الطرف عن «المذكرات» والمراسلات ـ اذا أضيفا الى القائمة السابقة تشكل حصيلة كبيـرة .

وعلى اية حال فان ما يظل اكثر غرابة هو التفكير في أن

جيد لو كان قد مات في سن الخمسين لكانت شهرته قد ولدت بعد وفاته . فخارج دائرة أدبية صغيرة نسبيا ظل جيد حتى العقد الثاني من القرن العشرين (الذي وصل فيه الى عيد ميلاده الخمسين) مجهولا . ولقد نشرت كتبه على حسابه في طبعات صغيرة لم تلق نجاحا تجاريا .

ولقد كانت مبيعات « مذكرات أندريه والتر » بسيطة حتى أنه قد طبعها على ورق خشن فيما عدا سبعين نسخة اضافية . ولقد نشرت « اللا أخلاقي » في طبعة عددها ثلاثمائة نسخة ، ولم تبع « المباهج الدنيوية » الا خمسمائة نسخة في أحد عشر عاما وهو مثال صارخ .

هذه الحقائق هبطت شهرة جيد بتشويش المدى الذي نجح به ليكون البشير الذي أراد دائما ان يكونه . وعندما تمكن ارتباط الظروف وجمهور واسع بعد الحرب العالمية الاولى من خلق جمهور أعرض لمؤلفات جيد ، اصبحت كتبه ـ كما يقول جستين أوبريان ـ « أشبه بقنبلة تأخر تفجيرها » (١) . واذا كانت رواية « المباهج الدنيوية » لم تقرأ طوال العشرين سنة الاولى من وجودها فقد التهمها أول جيل بعد الحرب من القراء ونحن نجد كثيرا من الشباب الذين « اكتشفوا » جيد حينذاك يندهشون وهم يعلمون ان « المباهج الدنيوية » قد كتبت قبل ان يولدوا على حد

---

(١) كتاب « صورة اندريه جيد » ص ٣٠٠ .

قول هنري ماسيس (٢) .

ومع هذا لو كان جيد قد انتظر الشهرة العريضة الى أن يصل الى الخمسين لكان قد أعلن به منذ بداية عمله الابداعي أستاذا في فنه من قبل زملائه من الكتاب . وفي أوائل ١٨٩٠ أكد بيير لويس لجان نافيل أن جيد « أمامه أعظم مستقبل » من كل معارفه من الادباء العديدين (٣) . ولقد اجتذب نشر « مذكرات أندريه والتر » رسائل اعجاب من مالارميه ومارسيل شووب ، ج ـ ك . هوسمانز ، بول بورجيه وبول فاليرى الذي لم يكن معروفا بعد وجذب انتباه شارل مورا وهنري دي رينيه وموريس باريس وموريس ميترلينك وكاميل موكلير وآخرين . قد يكون المعجبون بجيد في بداية حياته قليلين : لكنهم ليسوا نكرات . وسرعان ما انضافت أصوات كلوديل وفرنسيس جيمز الى جوقة المعجبين . وأضاف رجال أصغر سنا مثل هنري جيون وادموند جالو وجاك كوبو وجاك بريفيير جيلا أدبيا ثالثا للجيل الاقدم من المعجبين .

ودون استثناء كبير تمتع جيد في غيبة الجمهور العريض بالمصادقة الحماسية لخير ما في عالم الادب الفرنسي لعقدين من السنين : ١٨٩٠ ــ ١٩١٠ .

---

(٢) « من أندريه جيد الى مارسيل بروست » ص ٢٨ .

(٣) انظر كتاب بول ايسلر عام ١٩٣٧ .

وفي الحقيقة ــ وهذه مساهمة مذهلة ــ لم تتعــرض روعة جيد اطلاقا لتحد خطير ، تحد من جانب ناقد ذي تأثير ليجعل الاتهام أقل سخرية .

ولقد انضم لكوبو وبريفيير جيل مالرو الذي تبعهبدوره جيل سارتر وكامو ، وكان (صفوة) كل جيل يقدم لجيــد معجبين جدا . وحتى أن أعداءه من بول كلودل الى هنري ماسيس اثنوا على أستاذية جيد الفنية واعتبروه « المعاصر البارز (على الاطلاق) » (٤) .

و فيالحقيقة لم يكن فرنسيس جيمز قد ارتد بعــد الى الكاثوليكية عندما أكد لجيد عام ١٨٩٤ : « انني أعجب بك من كل قلبي .. ولديك ما تقدمه أكثــر من مجرد المواهب العظيمة ... »

ولكن قناعات كلوديل قد تبدلت وأصبحت معارضــة لجيد عندما كتب له عام ١٩٠٦ :

« أي كاتب ممتع أنت ! »

وفي عام ١٩٢١ أكد شارل دي بوس لقرائه أنه :

« اذا نظرنا الى جيد بكــل بساطــة ككاتب وكأستاذ وحامي للغة ، فان مكانته اليوم مكانة فريدة » (٥) .

---

(٤) « اندريه جيد » لبيير ــ كنت ص ٣٧٨ وما بعدها .

(٥) حوار مع أندريه جيد ص ٣ .

وفرنسوا مورياك الذي جاءت مرارة تعليقاته على جيد حادة ، يتذكر الفهم والرقة اللذين كانا يميزان علاقته بانسان كان يعي انه يدين له بالكثير (٦) ـ ان فرنسوا مورياك يستطيع ان يتحدث بحكمة عن « الضوء النقي » في كتابة جيد (٧) . وحتى هنري ماسيس الذي خصص أكبر جانب من حياته للتنديد بجيد وكل أعماله يعترف أكثر من مرة بكمال فنه. فالفاسق الشيطاني في الدين والاخلاقيات هو في الوقت نفسه « الفنان ، الكاتب دون منازع » (٨) .

غير ان الكلمة الاخيرة بالنسبة لهذا الموضوع ترجع الى « لاوبزرفاتوري رومانو » الصحيفة الرسمية للفاتيكان حيث وجد كاتب بارز مناسبة للحديث عن « ذلك الصوت القوي الرقيق الذي يذكر بين الحين والحين بألطف صوت لكل ما هو عظيم في فرنسا ... » وكانت المناسبة وضع فهرس للكتب الممنوعة التي تشكل كل أعمال جيد . (٩)

فاذا كانت عظمة جيد ككاتب معترفا بها بشكل مطلق ، فان أعماله وحياته لم تخل من التعرض لامر الهجمات وهي هجمات تتعلق بأخلاقياته الخاصة وأعماله العامة وتأثيره

---

(٦) حوار مع أندريه جيد لكلود مورياك .

(٧) اندريه جيد لجيرارد ص ٢٣١ .

(٨) المرجع السابق ص ٦١ .

(٩) يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٥٢ .

فوق كل شيء . ومما له دلالة ان هذه الهجمات تحدث أساسا من اتجاهات متعارضة وفي كل حالة من جانب نقاد تمتع في وقت ما بعلاقات صداقة معهم .

ومن أهم النقاد العديدين والملحين لجيد نجد الكاثوليك الرومان بطبيعة الحال، ولم تنجح احتجاجات كلودل وماريتان وغيرهم الخاصة في الحصول على حجب « كوريدون » و « لو لم تمت البذرة » وكانت هذه هي الموجة الكبرى الاولى للتنديد التي تنشب بمناسبة نشر هذين العملين . ولقد اضاف نقاد من امثال ايوجين مونتفور وهنري بيرو أصواتهم الى صوت هنري ماسيس لينضم اليهم الاب فيكتور بوسيل ورينيه شووب وعدد آخر من النقاد .

ويختلف عمل هؤلاء النقاد اختلافا كبيرا في كيفه من التنديد الارعن الاهوج الى المحاولة الجادة لطرح قضيته، لكنهم جميعا بالمثل وعلى نحو مباشر أعداء له .

وهؤلاء الكاثوليك الذين يقدرون قيمته وليس مجرد براعته كفنان ، مجموعة مهمة كبيرة . وكلوديل الذي يعد أعظمهم ، مخيب للامل في هذا المضمار . وفي أواخر ١٩٢٦ بالرغم من التعصب الاعمى الذي اخضع جيد له سرا كان لا يزال قادرا على أن يكتب : « ان مجراك لم يسر بعد ... انك واحد منذ اولئك الذين يكملون منحنى كاملا في حين ان الآخرين لا يكادون يضعون الخطوط العريضة لبدايته ــ وهذا في الواقع هو احد الاسباب التي تدفعني الى أن أهتم بك ــ

وهو اهتمام يلعب فيـه القلق دورا كبيرا بقدر ما يلعبه الامل » (١٠).

وعندما أحبط رفض جيد السماح لكلوديل ان يمي على ضميره هذا الامل ، لم يملك كلوديل الا ان يغرق في غضب أعمى أخرق :

« لن أعترف بأن لديه اية المعية ... لقد قدم مثـالا مفزعا للجبن والضعف ... انه مسمم ... » (١١) .

والنقاد الكاثوليك الآخرون مثـل جيمز ، جيون ودي بوس يسلكون على نحو أقل بساطة . لقـد اظهر لهم جيـد كثيرا من الرقة (كما فعل لكلوديل) ولقد أعجبوا به كثـيرا وطويلا مع احتفاظهم بالتزام الشعور بالتنديد به . ففرنسيس جيمز على سبيل المثال (الذي دفع جيد من جيبه حتى ينشر له أعماله الاولى) يكتب الى جيد يطلب منه أن يجد له ناشرا لنشر عمله الادبي التافه .

وعلى اية حال ، ربما كان أهم نقاد جيد من الكاثوليك الرومان شارل دي بوس الذي له ضعفه ، ونحن نجد جيـد بلمسة بارعة الخفة يذكرنا بهذا الضعف (١٣). : لكنه واحد

---

(١٠) مراسلات مع كلودل ص ٢٤٥ .

(١١) المرجع السابق ص ١٠٩٨ — ١٠٩٩ .

(١٢) المذكرات ص ١٠٩٨ — ١٠٩٩ .

(١٣) المذكرات ص ٩٦٤٦ ، ١٠٤٨ ، ١١٧٤ — ١١٧٥ ، ١١٩١—١١٩٢ .

من أهم النقاد الفرنسيين المحدثين وجاء اعجابه بعمل جيد كبيرا حتى انه طرح جيد كمشكلة روحية .

ان تنديدات ماسيس العنيفة وغضب كلودل الشديد ليست من شيم دي لوس . انه لا يستطيع أن يوفق بين الاتهام بالشر الخبيث الذي يسم به ماسيس جيد وبين الرجل أو العمل الذي يعرفه تماما . وهو بطبيعة الحال لا يستطيع مثل كلوديل أن ينكر أن جيد ليست له أية ألمعية . وفي الوقت نفسه كان يأخذ على جيد ما يمكن أن يسمى الشحن . لقد سمح جيد ذات مرة بل شجع أصدقاءه الكاثوليك الرومان(١٤) على أن يعتقدوا أنه كان على وشك التصالح مع الايمان المسيحي ان لم يرتد في الحقيقة الى الكاثوليكية الرومانية . مثل هذا الارتداد ـ في نظر دي بوس ـ كان انتصارا كبيرا كان دي بوسي سعيدا به للغاية . لكن جيد لم يرتد وكان على دي بوسي أن يعد عليه هذا الفشل .

ولقد قام بهذا ببراعة . ان دي بوس قد استغل فشل جيد لانتاج الرواية التي تصور حياة المتشردين على طريقة ديفو أو فيلدغ والتي قصد جيدا أن يكتبها بعد « الباب الضيق » وحيث تعد روايتا « كهوف الفاتيكان » و « مزيفو النقود » غير كافيتين كبديل ، وذهب دي بوس الى أن جيد قد فشل كروائي لانه تنقصه الانسانية حقا . قد تكون طبيعة

---

(١٤) اهدى جيد كتاب « نمكيدوائت ! » لدى بوا .

جيد معقدة ، لكنها ليست ثرة (١٥) . انـه ينقصه أريحيـة روائيين من أمثـال تولستوي أو ديكنز الذين أعادوا تقـديم الحياة في تنوعها وامتلائها .

أن استسلام الانسان للحياة هو دائما بالنسبة للروائي العظيم شرط خلاصه ، وأنا مقتنع من جانبي أنه نحو هـذا الاستسلام قد انجذب مؤلف « مزيفو النقود » حتى أن هذه الحالة هي الحالة التي أراد أن يحققها . لكن تراجيديا جيد الخاصة تكمن من أنه مهما تكن رغبتـه وحتى ارادتـه في الاستسلام رغبة مخلصة ، فانه لا يوجد شيء ليس قـادرا عليه ، وان محاولاته نحو تحقيق هذه الغايـة لا تنجح الا في اضاءة وتضمين تلك الاستحالة ... وهو في الرواية يعطينـا حياته (هو) بالمعنى الحرفي والمثير في المصطلح ، لكـن هذا هو كل ما يقدر عليه : انه لا يستطيع أن يمنح (الحياة) (١٦).

هذا العجز المزعوم بالنسبة لجيد للهرب من الذاتية المحض وتحقيق حتى شكل التجاوز الذي يتعلق به للغاية، هو في نظر دي بوس نمط وأنموذج فشل جيد بصفةعامة. يقول دي بوس ان جيد يتطلب (موضوعا) خارج نفسـه ينزع نحوه : لكن ما من شيء فيه يبدو قادرا على تزويده بموضوع . ونحـن نجد غابرييل مارسيل (١٧) وماسيس

(١٥) حوار مع أندريه جيد ص ١٤٥ .

(١٦) المرجع السابق ص ١٧٢ .

(١٧) عرض جديد للشباب ١٥ تموز (يوليو) ١٩٢٩ .

ـ الذي غير بالفعل أحد مقالاته بناء على طلب دي بوس الى « فشل أندريه جيد » (١٨) ، وحتى آرشابول (١٩) المتعاطف ، يتمسكون بنتائج دي بوس ويرفعانها علما .

ويسير معظم النقاد الكاثوليك الرومانيين على الدرب نفسه . وهم يذهبون الى أن جيد موهوب دون شك كفنان لكنه كانسان منحط جسمانيا ونفسيا وخلقيا . وتأثيره ضار تماما لا لان مقاصده دائما شريرة كلها (وحتى ماسيس تخلى عن هذا) بل لان اصراره على رؤية ضعفه وفساده كقوة وفضيلة قد أفضى الى ما أسماه دي بوس « انقلاب معمم » للقيم (٢٠) ، يستطيع فنه أن يجعلها مقبولة .

ويحاول فرنسوا موریاك في مقال يلخص موقف الكاثوليك الرومان المعاصرين تجاه جيد (٢١) ، ان يقدر السحر الذي مارسه جيد على كثير من الكاثوليك بما في ذلك نفسه . ولقد رأى المسألة في ضوء أن تاريخ جيد هو مخاطرة مسيحية ، تراجيديا مسيحية . ليس جيد في أنظارهم ملحدا تماما ، انه مسيحي دمر نفسه خلال صراع طويل ومرير مع الايمان بينما هم يسعون شغوفين ـ ولكن

---

(١٨) احكام لماسيس ص ٢٧٥ .

(١٩) انسانية أندريه جيد .

(٢٠) حوار مع أندريه جيد ص ٣١٧ .

(٢١) مجلة نوفيل ريفيو فرانسيس . تشرين ثان (نوفمبر) ١٩٥١ .

عاجزين ـ أن يخلصوه .

ولا شك أن اعتناق جيد لقضية الشيوعية قد ختم على هذا المعتقد ودعمه : لكن هذا لم يتسبب في أن يصبح له أصدقاء جدد . ان طبيعة عمل جيد قبل « انقلابه » ـ باستثناء عمله البارز « رحلة الى الكونغو » ـ كانت حجرعثرة في طريق المعجبين الجدد به . وهنا أيضا نجد أن فشله في انتاج رواية واقعية هو مصدر حيرة لاولئك الذين يشعرون بأنهم مدعوون الآن للتشكك في عبقريته .

فمثلا ، لم يتمالك ايليا ا هرنبورغ الا ان يقول ان جيد لم ينجح في انتاج مثل هذه الرواية : لكن ـ كما يقول عند هذه الرحلة ـ ليس الخطأ خطأ جيد . يقول اهرنبورغ ان جيد ولد ليكون الروائي الكبير للمجتمع ، لكن المجتمع الذي يعيش فيه مخل لدرجة لا تمكنه من أن يقدم له النماذج الجديرة بفنه (٢٢) .

ولدى جان جيونو تحفظات أكثر ، فجيد ـ في نظره ـ هو دائما فنان بورجوازي لا يجب تناول عاطفتهازاء العدالة والثورة الاجتماعية بشكل جاد . والمصاعب والاخطار التي يتحدث عنها غير حقيقية حسب رأي جيونو : فجيد لم يترك اطلاقا مقعده المريح ذا المسندين (٢٣) .

---

(٢٢) ايليا اهرنبورغ عام ١٩٣٤ .

(٢٣) مجلة « يوروب » ١٥ تشرين ثان (نوفمبر) ١٩٣٠ .

لكن الامر كان مماثلا في المعسكر الشيوعي لما في الجناح الكاثوليكي ، فقد ذكر لويس مارتن ـ شوفييه مثلا :

لقد بلغ جيد ذروة عظمته يوم أن التزم . ولقد أطيح بسجله السابق بضربة واحدة : لم يكن التردد في الماضي رفضا كما لم يكن علامة ضعف ، بل حرص شديد لكي يلتزم عندما يستطيع أن يتأكد من التزامه على نحو سليم (٢٤). وبمناسبة زيارة جيد لجامعة موسكو رفع الطلبة لافتات كتبت عليها عبارة لهنري ياربوس مؤلف رواية « الجحيم »:

انه انسان يقف اخلاصه على قدم المساواة مع مواهبه العظيمة . (٢٥)

ومهما تكن التحفظات التي شعر بها اهرنبورغ فدفعته الى أن يتحدث عن انجازه الحقيقي ككاتب ، فقد تحدث باسم رفاق جيد الجدد وهو يقدمه في اجتماع شيوعي :

ان حضور هذا الرجل يملؤنا بكبرياء جميل ، كبرياء سلاح فخور بالقلعة التي قد قوضها في التو (٢٦) .

ولكن اذا كان تعلق جيد بقضية الشيوعية قد حمل اليه وفرة من الاعجاب ، فان انسلاخه عن الشيوعية قد

---

(٢٤) اندريه جيد ص ٣٧٥ وما بعدها .

(٢٥) الادب الملتزم ص ١٣٥ .

(٢٦) اهرنبورغ ص ٢٠٥ .

حمل اليه تنديدا اشد . فقد قال جان جيونو « لقد قلت لك » (٢٧) وبعد هذا من ردود الفعل المعتدلة . كما غير اهرنبورغ من لهجته :

... أمام عيني رأيت أندريه جيد وقبضته مرتفعة وهو يبتسم لآلاف من العمال الساذجين . واستطيع ان أسمع صوته ... . « انني أؤمن بشدة بالجمهوريين الاسبان : ولا أستطيع النوم بسبب التفكير فيهم » . انه أمر مقزز ويدعو الى الاسى . لقد ظلوا بشرة لجسد طبقتهم كدوهامل المفكر الحر وجيد الشيوعي (٢٨) .

وهذه هي نغمة المقال الذي نشره بيير شيز في « الانسان الضائع » في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ تحت عنوان مهذب (تصعب ترجمته) : « الماخور الخراب : أندريه جيد » ! الذي اقتبست منه ايفون دافيت هذه الجملة (٢٩) :

« بطبيعة الحال ليس هناك سر في أن اخلاقيات جيد تطالب بان تعرض اليد التي تداعبك وان على الانسان أن يبصق في وجه من يعتني بك .

---

(٢٧) الادب الملتزم ص ٢٠٢ وما بعدها .
(٢٨) الادب الملتزم ص ١٩٧ .
(٢٩) الادب الملتزم ص ١٤٧ ــ ١٤٨ .

وبالرغم من أن هناك نقادا شيوعيين آخرين من أمثال اراجون وأندريه وورمس وجورج فريدمان أو رومان رولان قد برهنوا على قدرتهم على الاعتدال في أشكال نقدهم له، فان كراهية الشيوعيين لجيد لا مثيل لها (٣٠) .

وجيد يذهب دائما الى أنه لم يتحول ابدا عن قضية الثورة الاجتماعية . انه ندد بالشيوعية الستالينية لانه كان مقتنعا بأن ستالين قد خان تلك القضية ، لكنه لم يبحث عن اي حليف في صفوف اليمين السياسي وامتنع عن الهجوم على أولئك الذين لم يترددوا في شبه طالما أنه يتبين ولو أثرا واهنا من الايمان الطيب فيهم . وان تسامحه الصبور في تناول جيونو مثلا أو السندري أوشيز (٣١) لهو مثال صارخ على هذا . ولقد أدى نشوب الحرب عام ١٩٣٩ الى تنحية الجدال السياسي ومع نهاية الحرب خفت انسلاخ جيد عن الشيوعيين .

ولم يتوقف نمو مكانته ككاتب وقبل موته بفترة طويلة لم يعد هناك شك في أنه كاتب كلاسيكي عظيم . وفي النهاية اعرب حتى الكاثوليك الرومان عن أسفهم لنغمة بعض هجماتهم (٣٢) أما الشيوعيون فقد ظلوا وحدهم عنيدين .

---

(٣٠) سارتر في الازمنة الحديثة آذار (مارس) ١٩٥١ .

(٣١) الادب الملتزم ص ١٣ .

(٣٢) ماسيس : احكام ص ٦٣ .

وعلى ايـــة حال ، فان الكتب المحدثة عن جيــد التي لا تترك الا حيزا بسيطا للتحاملات الشخصية المختمة (٣٣) ليست معضلة في طابعها أو حتى نقدية للغاية ، فهيدراسات استكشافية تهدف الى الايضاح اكثر مما تهدف الى اصدار حكم بقيمة .

ومما له قيمة بصفة خاصة ذكريات هامة من اصدقائه من امثـــال شلومبرجر وروجر مارتن دي جار أو الرجال الاصغر من أمثال كلود مورياك ، وهناك دراساتأكاديميـــة محضة نجــدها في دراسة السيدة ايفون دافيت : « مؤلف (المباهج الدنيوية) « أو دراسة جان ديلاي » « شباب أندريه جيد (٣٤)» .

وربما يحظى جيد بأكبر تكريم في عقول خلفائهواتباعه. فالكاتب الذي لقــي ظهـوره الاول استحسانا من جانــب مالارميـــه والذي أسماه مالرو في نضجه « أعظــم الكتاب الفرنسيين الاحياء » (٣٥) قد حياه في نهاية حياته كل من البير كامو وجان بول سارتر . يقول كامو : « لقد سيطــر جيد على شبابي » وبالرغم من سنوات الحرب التي غيــرت العالم « لم أنس الامتلاء والضوء اللذين بدأت فيهما حياتي ولست أفضل اطلاقا أي شيء عليهما . وأنا لم أندد اطـلاقا

---

(٣٣) بحثا عن أندريه جيد عام ١٩٥٢ .

(٣٤) ارجع الى قائمة المراجع .

(٣٥) انظر ليون بيير ـ كونيت .

بجيـد . »(٣٦) .

وفي مجلة « الازمنة الحديثة » تحدث سارتر في آذار (مارس) ١٩٥١ في ما أسماه كامو « البيعة المثالية » عـن خليط التدبر والشجاعة الذي رأى فيه المعالم الاساسيـة لجيد والخصائص التي أفضت به الى « أن يتأنى في حكمه الى أن ظهرت الحقيقة جلية وعنـدما أصبح مقتنعا فأنـه أصبح مستعدا لكي يدفع ثمن تلك القناعة لآخر قرش » .

لقد كان جيد في نظـر سارتر أكثر من مجرد فنـان ممتاز ، فقد ظل طوال ثلاثـين عاما يمثل قوة مـن القوى الحيوية في الحياة الروحيـة لفرنسا ، ومن ثم فلا يمكـن تجـاهله .

ان الفكر الفرنسي جميعه طوال الثلاثين سنة الاخيـرة مهما كان سندها الآخر هيجل او كيركجورد كان مضطرا الى أن يحدد موقفه (ايضا) بالنسبة لجيد .

لكن جيد يمثل شيئا اكثر من هذا ، وسارتر يعـرف هـذا :

ان جيد هو مثال لا يمكن استبداله لانه اختار .... (أن يكون حقيقته) .

وهذا هو الثناء الذي يودم جيد .

---

(٣٦) مجلة نوفيل ريفيو فرانسيس تشرين ثان (نوفمبر) ١٩٥١.

المراجـــع

مؤلفـــات جيد

المجلد الاول

مقدمة بقلم ل . مـــارتن ـ شوفييه . مقتطفات من :
« التربية العاطفية الجديـدة » ـ مذكرات عـن رحلة الى
بريطانيا ـ مذكرات اندريه والتر (١٨٩١) ـ اشعار اندريه
والتر (١٨٩٢) تصدير للطبعة المعتمدة لكتاب « أنـدريه
والتر » ـ بحث عن نرجس (١٨٩١) ـ تجربة حب(١٨٩٣)
مشاهد طبيعيـة ـ أشعار ـ رحلـة الى اوربا (١٨٩٣) ـ
مستنقعات (١٨٩٥) مذكرات١٨٨٩ ـ ١٨٩٥ ـ وقائع١٨٩٢
ـ ١٨٩٣ وسائل .

المجلد الثاني

وقائع الطريق ـ المباهج الدنيوية (١٨٩٧) تصديـر
لطبعة ١٩٢٧ ـ سول (١٩٠٣) تأملات في بعض نقاط الادب
والاخلاق (١٨٩٧) فيما يختص بالمستأصلين من الارض ـ
ستيفن مالارميه ـ وقائع ـ رسائل .

المجلد الثالث

موبسوس ــ فيلكتيتس (١٨٩٩) ــ الحاج (١٨٩٩) ــ بروميثيوس مقيدا (١٨٩٩) ــ رسائل الى انجيل ١٨٩٨ ــ ١٩٠٠ ــ تذييل ــ حول المؤثرات في الادب (١٩٠٠) من بيسكرا الى طاغور ــ الملك كاندول (١٩٠١) ــ حدود الفن (١٩٠١) بعض الكتب ــ ملحق ، تذييل . أوسكار وايلد (١٩٠٣) ــ صورة المؤلف ــ مذكرات ١٩٠٢ ــ رسائل .

المجلد الرابع

اللاأخلاقي (١٩٠٢) ــ سينورينا ايمانيويل ــ اهمية الجمهور (١٩٠٣) ــ تطور المسرح (١٩٠٤) بيتسابيه (١٩١٢) ــ العدول عن السفر ــ بروسربين (١٩٤٨) أجاكس ــ تواريخ الصومعة ــ أشجار الحور ــ رد على بحث عن تأثير المانيا ــ موريس دنيس ــ نزهة في صالون الخريف ــ في خدمة المانيا ــ ج . م . دي هيريديا ــ الاباحة والتحريمات وبيانات دي م . السيناتور بيرنجيه ــ « تجريح » أوسكار وايلد : تذييل ــ مذكرات ١٩٠٣ ــ ١٩٠٦ ــ رسائل .

المجلد الخامس

عودة الابن الضال (١٩٠٧) دوستويفسكي من خلال رسائله (١٩٠٨) الباب الضيق (١٩٠٩) بعض الكتب ــ ملحق ــ ضد مالارميه ــ مميزات الآداب ــ مذكرات ١٩٠٦ ــ ١٩٠٩ ــ رسائل .

المجلد السادس

القومية والادب ـ أربع أغنيات ـ مذكرات ليس لها تاريخ ـ ملحق ـ شارل لويس فيليب (١٩١١) إيزابيل (١٩١١) الهاوي دي ريميه جورمو ـ على هامش فينيدون لجول لاميتر ـ بودلير وفوجيه ـ سويسرا بين لغتين ـ قراءات « الاخوة كرامازوف » ـ قضايا ـ وقائع ـ مذكرات ١٩٠٩ ـ ١٩١١ ـ رسائل .

المجلد السابع

ذكريات في بلاط العزيز ـ ملحق (١٩١٤) ـ كهوف الفاتيكان (١٩١٤) فرلان ومالارميه ـ الروايات الفرنسية العشر ـ الزحف التركي ـ تيوفيل جوتييه ـ تصدير لديوان « أزهار الشر » ـ وقائع ـ مذكرات ١٩١٢ ـ ١٩١٤ .

المجلد الثامن

مذكرات ١٩١٤ ـ ١٩١٩ ـ مقدمة لـ « تومكيدوانت . . ؟ » وقائع ـ تصدير لرسائل دي دوبوي ـ رسائل .

المجلد التاسع

السيمفونية الرعوية (١٩١٩) ـ المباهج الجديدة ـ تأملات حول المانيا ـ حديث مع الماني ـ نظرات في الاسطورة اليونانية ـ عبرة ـ أزمة فرنسية ـ كوريدون (١٩٢٤) ـ

وقائع غير منشورة ـ مذكرات ١٩١٦ ـ ١٩١٩ ـ رسائل .

المجلد العاشر

اميل فرهايرن (١٩٢٧) ـ يابابا ـ رد على بحث عن الكلاسية ـ لو لم تمت البذرة (١٩٢٦) مشروع تصدير لكتاب لو لم تمت البذرة ـ المباهج الجديدة ـ وقائع ـ مذكرات ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ رسائل .

المجلد الحادي عشر

مقابلات ـ صفحات من دي لافكاديو ـ صفحات لم تنشر ـ تذاكر لانجيل ـ رسائل صريحة ـ مصير أوربا ـ تصدير لكتاب « مدام دي بيك »دوستويفسكي : تذييل (١٩٢٣) مذكرات ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ .

المجلد الثاني عشر

خصائص (١٩٢٥) مزيفو النقود (١٩٢٦) رسائل .

المجلد الثالث عشر

مذكرات عن مزيفي النقود : ملحق (١٩٢٦) رحلة الى الكونغو ، ملاحق (١٩٢٧) دنديكي (١٩٢٧) وقائع ـ مذكرات ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥

المجلد الرابع عشر

جولـة في تشاد : ملاحق (١٩٢٨) الخطـر في أفريقيـا الاستوائية ـ الساعة الاخيرة ـ وقائع ـ مذكرات ١٩٢٦ ـ ١٩٢٨ ـ رسائل .

المجلد الخامس عشر

دراســة عن مونتني ، ملحـق عن مونتني (١٩٢٩) ـ الشباب ـ ملاحظات عن شوبان ـ مذكرات ١٩٢٨ ـ ١٩٣٢ ـ تلقينات ـ وقائع ـ رسائل .

مراجع عن جيد

(أ) بالانجليزية

آمز : اندريه جيد (١٩٤٧) .

براشفيلد : اندريه جيد والاغراء الشيوعي (١٩٥٩) .

كروسمان (مشرفا) : الرب الذي فشل (١٩٤٩) .

جيرارد : اندريه جيد (١٩٥١) .

مارش : جيد وصوت السماء (١٩٥٢) .

ماكلارن : مسرح اندريه جيد (١٩٥٣) .

اوبرين : صورة اندريه جيد سيرة نقدية (١٩٥٣) .

بينتر : أندريه جيد ، دراسة نقديـة وسيرة ذاتيـة (١٩٥١) .

ستاركي : اندريه جيد (١٩٥٤) .

توماس : اندريه جيد : أخلاق الفنان (١٩٥٠) .

الدراسات الفرنسية لجامعة ييل : اندريه جيد ١٨٦٩ــ ١٩٥١ .

(ب) بالفرنسية (١٩١)

آرشمبول : انسانية اندريه جيد ، دراسة في السيرة الذاتية والنقد التحليلي النفسي (١٩٤٦) .
بندا : فرنسا البيزنطية (١٩٥٤) .
بريه : اندريه جيد (١٩٥٣) .
ديلاي : شباب أندريه جيد (١٩٥٦ ـ ١٩٥٨) .
دي بوس : حوار مع اندريه جيد (١٩٤٧) .
فرنانديز : اندريه جيد (١٩٣١) .
هيتييه : اندريه جيد (١٩٥٤) .
لافيل : اندريه جيد ، الرومانتي (١٩٥٤) .
١٩٥١ (١٩٥٤) .
لافيل : أندريه جيد في الصحافة الفرنسية من ١٨٩٠ الى ١٩٥١ .
لانج : أندريه جيد والتفكير الالماني ١٩٥٤ .
مارتن دي جار : ملاحظات حول أندريه جيد ١٩١٣ ـ ١٩٥١ (١٩٥١) .
ماسيس: من اندريه‌جيد الى مارسل‌بروست (١٩٤٨) .
ماسيس : أندريه جيد (١٩٤٨) .
ماسيس : تأملات حول فن الرواية (١٩٢٧)
ماسيس : أحكام ـ المجلد الثاني (١٩٢٩) .

نافيل : اندريه جيد والشيوعية (١٩٣٦) .
ريفيير : دراسات (١٩٢٤) .
بيير ـ كنت : اندريه جيد ، حياته وأعماله (١٩٥٢) .
شلومبرجر : مادلين واندريه جيد ، ووجوههما المؤتلفة (١٩٥٦) .
تيري : جيد (١٩٦٢) .
والش : اندريه جيد وعصرنا (١٩٣٥) .

المحتويات

هذا الكتاب

«من الفعل المجاني إلى الالتزام .. من الجنسية المثلية إلى الشيوعية .. من الزواج المستقر إلى التجوال القلق .. من الدراما إلى المذكرات الشخصية .. في هذا الاطار تكمن المأساة الكاملة لأديب فرنسا العظيم أندريه جيد الذي سعدت العربية بترجمة بعض أعماله ومنها « الباب الضيق » ، « مزيفو النقود » ، « السيمفونية الرعوية » ، « أوديب » ، « تيسيوس » .. إنه الأديب الفرنسي الذي أفرد له الدكتور طه حسين الصفحات الكاملات عارضاً لمذكراته وبعض أعماله الفنية التي يلتزم فيها ولكن يظل ألمغرد » ..

الثمن :

أو ما يعادلها

المؤسسة العربية للدراسات والنشر